دراسات في العامّية

الدكتور عون الشريف قاسم



الدار السودانية

الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

اعادة رفع وتحميل الكتاب
الخميس ٢٨ شعبان ١٤٤٦ هـ

الدكتور عون الشريف قاسم



وزارة الشؤون الدينية والاوقاف

الخرطوم في ٣٠ / مايو / ١٩٧٢



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمــة

هذه دراسات عامة حول العامية العربية ومكانها من ثقافة الامة العربيــة وشخصيتها مع التركيز على جوانب من احداها وهي عامية السودان قصدت منها أن تكون مدخلا لدراسات تفصيلية في العاميات العربية عامة وعاميــة السودان خاصة •

وقد تساءل بعض الناس عن جدوى مثل هذه الدراسات ورأى فيها بعضهم دعوة الى نبذ العربية الفصيحة وتشتيت وحدة العالم العربي بأن ينكفىء كل قطر عربي على لهجته فتفقد العربية سلطانها كأداة مشتركة للتفاهم • وقد فات هؤلاء أن دراسة العاميات في العالم العربي ومقارنتها ببعضها بعضا أدى للتقارب في مجال التفاهم الشخصي مما يدعم رابطة الفصحى ويوسع من دائرتها •

وليس الغرض من هذه المجهودات ابراز العامية كبديل للعربية الفصيحة فهذا ما لم يخطر لنا على بال ، ولكن الهدف الاساسي هو التعرف على اللهجة العامية بردها الى أصولها وتحليل جذورها حتى نستطيع أن نعرف عن أنفسنا أكثر مما نعلمه الآن • انها ــ في مجال العامية السودانية ــ عملية مسح فكري وثقافي لازمة كمقدمة لأي دراسة جادة عن المجتمع السوداني في بيئاته المتباينة•

عون الشريف قاسم

وزارة الشؤون الدينية والاوقاف
الخرطوم في ٣٠ / مايـو / ١٩٧٢

اللغة وشخصية الأمة

للعاميات قدرة على التشكل بالبيئات التي تحل بها لا تتيسر للفصحى . وهذا ناجم من أن الفصحى لغة الدين والثقافة والفكر وكل ذلك يفرض عليها القيود ويحصرها في اطار من التقعيد والتقنين لا تستطيع منه فكاكا ــ مثل غيرها من اللغات لنموذجية ــ الا في أضيق الحدود . ومن هنا جاءت الحاجة لوسيلة تعبيرية أكثر طواعية وأقدر على تلبية حاجات الناس العابرة فكان هذا الازدواج اللغوي الذي نراه في حياتنا : لغة فصحى نتعامل بها في مجال الثقافة والفكر ولغة عامية نتفاهم بها في شؤون دنيانا . وهذه الثنائية في اللغة العربية ليست حديثة العهد ولم تنشأ بخروج العرب من جزيرتهم الى الاقطار التي استقروا فيها بعد الاسلام ، بل هي ظاهرة قديمة كانت قائمة في حياة العرب حتى قبل بروز هذه العربية الفصحى التي نشأت في فترة متأخرة من الجاهلية الاخيرة تحت تأثير عوامل حضارية وثقافية معروفة فجاءت الفصحى خليطا من لهجات كثيرة مرتصة بانتقال العرب من مرحلة البداوة والترحال الى مرحلة الحضارة والاستقرار معبرة عن توحد فكري وثقافي وديني واجتماعي بدأ ينظم حياة العرب وبلغ غايته بظهور الاسلام . وكان دور قريش في كل ذلك التطور بارزا وحسما . فهي بحكم مركزها التجاري المشهود كانت رائدة التحول الاجتماعي وكان نشاطها في طول الجزيرة وعرضها نقطة تحول هامة في حياة العرب وبداية لانتقالهم من اسار اقتصاد البداوة المتخلف الى رحاب اقتصاد التجارة المتقدم ، وتبع ذلك تحولات كبيرة في المجال العقلي والفكري فتوحدت الديانة أو كادت حول الكعبة في مكة مدينة قريش وتوحدت لغة الادب والفكر ودارت في فلك لهجة قريش وجاء الاسلام بقرآنه وطقوس

عبادته ليؤكد كل ذلك ويسير به الى غايته من توحيد العرب فكريا ودينيا ولغويا .

وكان لكل قبيلة لهجتها الخاصة المتميزة والواضح ان الخلافات بين هذه اللهجات العربية كانت خلافات شكلية في معظمها ومن ثم سهل على العرب فهم القرآن الذي نزل باللغة النموذجية المصفاة . وهذا التقارب بين اللهجات ناجم من تقارب سكنى القبائل داخل جزيرة العرب وعدم اختلاطها بغيرها من الشعوب لقرون طويلة قبل الاسلام . ولعل هذه الصلة القوية بين العربية الفصحى ولهجات القبائل الى جانب عوامل أخرى هي التي حالت دون تفتيت أواصر القربى بينها رغم بعد الشقة التي أصبحت تفصل بينها بحكم انتقال العرب خارج جزيرتهم الى الامصار المعروفة بعد الاسلام . ولو لا هذا لكان من الممكن أن يصيب اللغة العربية ولهجاتها ما أصاب اللاتينية مثلا التي أصبحت مسافة الخلف بينها وبين لهجاتها من البعد بحيث تطورت كل لهجة منها الى لغة مستقلة كما تشهد بذلك اللغات الاوربية الحديثة من فرنساوية واسبانية وطليانية وغيرها .

ولكن الصلة القوية التي كانت تربط بين الفصحى واللهجات داخل جزيرة العرب ما كان من الممكن ان تستمر على قوتها تلك رغم حيوية العنصر الديني الذي يرجع اليه أكبر الفضل في المحافظة على الفصحى وعلى وصلها بلهجاتها في الامصار . فقد تزعزعت اللهجات ذاتها بتفرق المتكلمين بها في الاقطار ، وبالتقاء مجموعات مختلفة من القبائل في الرقعة الواحدة كانت المحافظة على لهجة بعينها والحيلولة بينها وبين التأثر والتأثير بغيرها من لهجات العربية واللغات الاخرى أمرا بعيد المنال . ثم ان كل هذه اللهجات العربية واجهت ظروفا حضارية وثقافية وجغرافية جديدة مختلفة عن ظروف نشأتها في جزيرة العرب وكان لا بد لها أن تدخل في صراع جبار مع كل هذه العوامل الجديدة حتى تتأقلم في بيئتها الجديدة وتضرب بجذورها في الارض الغريبة . ومن هنا تلونت اللهجات العربية الوافدة بألوان البيئات الجديدة ، وكان هذا التلون

يختلف قوة وضعفا باختلاف العوامل الحضارية التي تحكمت في الموقف اللغوي وأملت تطور اللهجة .

ودراسة اللهجة العامية بحسبانها خارطة حضارية أمر عظيم الاهمية لما يلقيه من ضوء على كثير من السمات الانسانية والثقافية التي ازدادت بها الثقافة العربية ثراء في بيئاتها الجديدة . والواقع ان هذه الثقافة العربية قد تطورت في كل المناطق التي استقر فيها العرب بتطعمها بالثقافات والحضارات المحلية التي لم تستطع مقاومة الوافد الجديد فذابت في أحشائه وأمدته بروافد من القوة جديدة . وقد بلغ تحول هذه الثقافة في بيئاتها المختلفة مبلغا من التفرد والحيوية ينم عنه تفرد الشخصية العربية في بيئاتها الجديدة المتفردة . فهذه الشخصية العربية سواء أكانت سودانية أو مصرية أو عراقية أو مغربية أو ما اليها تلونت في بيئاتها الخاصة بألوان حضارية وثقافية وبشرية أكسبتها السمات المميزة التي تتبينها الآن في البلاد العربية المختلفة . وكانت هذه الشخصية تتشكل وتتحول تحت ظروف سريعة التغير تمليها مقتضيات الصراع بين الثقافة الوافدة والثقافات المحلية . واللغة الفصحى بحكم طبيعتها المحافظة لا تسعفنا كثيرا في تصور النقلة الكبيرة التي انتقلت بها الثقافة العربية وبالتالي الشخصية العربية في بيئاتها الجديدة . والعامية التي لازمت كل هذا التطور وصورت منعرجاته المختلفة السريعة منها والبطيئة بحكم طواعيتها وقدرتها على الحركة في مرونة ويسر ، هذه العامية الشديدة الحساسية لكل تحول يطرأ على حياة الناس هي بلا شك مفتاح كل دراسة لتطور الشخصية العربية في بيئاتها الجديدة . وليس في هذا غض من شأن الفصحى التي كانت تمثل الى حد ما عنصر الثبات والاستقرار في حين كانت العامية تمثل عنصر التحول والتغير . وقد أسلفنا القول في أن الصلة القوية التي تصل بين الفصحى ولهجاتها هي صمام الامان يحفظ ميزان التعادل بين محافظة الفصحى وتصلبها ومرونة العامية وعفويتها بحيث أمكن أن يكون هناك تنوع واختلاف في الشخصية والثقافة في اطار وحدة اللغة والثقافة والدين . وقد كان هذا هو العاصم من

انفراط عقد الامة العربية رغم كافة الضغوط والتيارات والمؤثرات التي تعرضت لها في بيئاتها المختلفة •

ولعله لهذا السبب واجه الفشل كل المحاولات التي سعت لاحلال العامية محل الفصحى لان الذين نادوا بذلك يجهلون طبيعة اللغة العربية ويجهلون صلتها بالعاميات ويجهلون هذا الميزان الدقيق بين عنصر الثبات وعنصر التغير لا في اللغة العربية فحسب بل في الشخصية العربية أيضا • اذ أن هذا الميزان اللغوي انعكاس لظاهرة بشرية حضارية تتمثل في تنوع النماذج العربية في البيئات المختلفة واختلافها في كثير من التفصيلات ولكنه تنوع لا يحول دون الالتقاء واختلاف لا يقف في سبيل التوحد ، فالجميع لا يخالجهم شك في انتمائهم الى منبع حضاري وبشري واحد يجد كل فرد صداه في نفسه وصورته في حياته • ولعله لهذا السبب سعى المستعمرون في محاولتهم لتفتيت وحدة الامة العربية والاسلامية وتحطيم تراثها الى اقناع أجزاء من الامة العربية والاسلامية بالرجعة الى ما وراء الاسلام والعرب وذهبوا الى أن عظمة هؤلاء الاقوام الحقيقية ليست في العروبة ولا في الاسلام وانما هي فيما وراء ذلك • فشجعوا الدعوة الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والقرطاجنية في تونس والبربرية في المغرب والطورانية في تركيا والساسانية في ايران وما الى ذلك من نعرات • وشفعوا تلك الدعوة بدعوة أخرى الى استخدام الحرف اللاتيني بدلا من الحرف العربي هادفين من ذلك الى بتر القوم من تراثهم الديني والثقافي — وقد نجحوا في تركيا التي كانت تكتب لغتها بالحروف العربية ولكنها استبدلت بها الحروف اللاتينية بعد الثورة الكمالية •

ولكن دحض افتراءات المستعمرين ودفع حججهم الواهية قد يؤديان الى موقف فكري لا يقل خطرا عن الموقف الذي سعى الاستعمار ودعاة الفرقة الى التمكين له • فكثيرا ما اندفع المتحمسون لوحدة العرب ولوحدة المسلمين الى اغفال التنوع في اطار الوحدة الذي أسلفنا القول فيه • وهذا الاغفال لا ينجم

عنه الا طمس معالم الشخصية البشرية والغاء دورها المتفرد وبالاختصار محو مصدر أصالتها وابداعها . فكما أن الجسد الحي يتكون من أجزاء متخصصة ومتفردة بحكم مواقعها ووظائفها وكل منها يؤدي عملا مختلفا الا أن جماع جهودها يؤدي الى غاية واحدة هي مصلحة الكائن الحي فكذلك الامر في حياة الامم والشعوب . والشعب العربي يتكون من خلايا متفردة كل منها يؤدي وظيفة متفردة بحكم الموقع والظروف والبيئة ولكنها جميعا تتجه الى غاية واحدة هي اثراء التراث العربي ولن يتأتى هذا الاثراء الا بالتأصيل الحق والتعبير الصادق عن الذات المتفردة .

والواقع ان هذا التنوع في اطار الوحدة ليس أمرا عارضا في حياة العرب اذ هو قديم فيهم حتى حين كانوا داخل شبه جزيرتهم وحين خرجوا في الفتوح الى الامصار . فقد كان للحجاز شخصيته المتفردة وأدبه المتفرد ولهجته المتفردة وكان للعراق مثل ذلك وكان للشام مثل ذلك أيضا . بل ان مدينتين في نفس المنطقة كالبصرة والكوفة كان لهما شخصيتاهما المتفردتان . والتنافس بين الاقاليم والمدن باب واسع في أدب العرب . ويكفي أن نذكر هنا ما قاله زادان فروخ الفارسي للحجاج حين سأله عن العرب والامصار ، فقال : « أهل الكوفة نزلوا بحضرة السواد فأخذوا من ضيافتهم وسماحتهم . قال : فأهل البصرة ؟ قال : نزلوا بحضرة الخوز فأخذوا من مكرهم وبخلهم . قال : فأهل الحجاز ؟ قال : نزلوا بحضرة السودان فأخذوا من حمقة عقولهم وطربهم . فغضب الحجاج ، فقال له زادان : أعزك الله لست حجازيا انما أنت رجل من أهل الشام نزلوا بحضرة الروم فأخذوا من ترفقهم وصناعتهم وشجاعتهم » .

ولا شك أن تشتت العرب في ديارهم الجديدة كان أبعد مدى مما كان عليه الحال بعد الفتوح مباشرة . وكان اختلاطهم بغيرهم من الشعوب والثقافات سبيلا الى اكساب الشخصية العربية أبعادا وسمات تتباين بتباين البيئات والازمان . وتحليل هذه الشخصية العربية في بيئاتها المختلفة والغوص في أعماقها

امر وان بدا في ظاهرة مناقضا لفكرة الوحدة العربية الا انه في الواقع سبيل البحث العربي الجديد الذي يهدف الى الاصالة والابداع الفردي ليرفد مجرى النهر العام بالعطاء ويمد الجسد الكبير بفيض من الغذاء والقوة • ولا خوف على الناس من النكوص أو الانسلاخ من انتسائهم الكبير من جراء انكبابهم على تفهم ذاتهم والبحث في أعماقها عن مصادر القوة والاصالة لوجودهم فان هناك كما قلنا عاصما لهم من الانزلاق في متاهات مجدبة قاحلة ينبتر الناس فيها عن تراثهم وجذور بقائهم • فان البحث عن الذات يبدأ وينتهي بهذا التراث العربي الاسلامي ، ولكنه تراث عربي واسلامي يتشكل تشكل قطعة الماس وهي تتوهج باختلاف الزوايا التي ينطلق منها الضوء أو ينظر منها الناظر•

وهذه الشخصية بنية حية دقيقة النسج تعاورت عليها ظروف تاريخية وثقافية وبشرية وتفاعلت معها وصقلتها وانتهت بها الى ما نراه اليوم في أقطار العروبة المختلفة وقد ذكرت آنفا ان مفتاح هذه الشخصية هو لسانها العامي فمن خلال دراستنا للظاهرة اللغوية تتبين العناصر الكثيرة التي دخلت في تشكيل النسيج الدقيق للشخصية الاقليمية •

اللغة والثقافة

الحديث عن اللغة لا ينفصل عن الحديث عن الثقافة وكلاهما متصل أوثق الاتصال بالحديث عن الحضارة . وأنا لا أود في هذا الحديث أن أخوض في تحديد الفروق الدقيقة بين ما هو ثقافة وما هو حضارة ويكفيني أن أشير الى انني أقصد بالحضارة مفهوما شاملا كالذي يقصده المتحدث حين يتحدث عن الحضارة الغربية مثلا وأقصد بالثقافة مفهوما أخص كالذي نرمي اليه حين نتحدث عن الثقافات الوطنية التي تشملها الحضارة الغربية كالثقافة الانجليزية او الالمانية أو الفرنسية أو غيرها من الثقافات الاخرى في الغرب . الحضارة اطار عام والثقافة شريحة مما يشتمل عليه الاطار وقد تضافرت عليها ظروف الزمان والمكان فطبعتها بطابعها المميز .

وهذا التفريق بهذه الطريقة مفيد لانه يوضح الصلة الحية بين عمومية الحضارة وخصوصية الثقافة . وبمقتضاه نستطيع التمييز بين الثقافات المختلفة في اطار الحضارة العربية الاسلامية . فهذه الحضارة اطار تاريخي شامل يضم اهابه عناصر فكرية واجتماعية ودينية محددة وهي في كثير من جوانبها ذات طابع مثالي بمعنى أنها لا تكتفي بترسم الواقع التاريخي المعاش فحسب بل تسعى الى تحقيق مجتمع نموذجي فاضل تتبين أطرافا واضحة من صورته في القرآن الكريم والسنة الشريفة . والانسان يستطيع أن يميز هنا بين الاسلام الرسمي وبين الاسلام التاريخي . أي بين نموذج الاسلام كما هو منصوص عنه في مصادره وبين الاسلام كواقع تاريخي معاش . وقد يذهب الانسان أبعد من ذلك ويميز بين الاسلام كما يبدو في دوائر العلماء والمثقفين من أئمة المذاهب

وعلماء الكلام من أصحاب الفرق والقضاة والمجتهدين وبين الاسلام كما يبدو في حياة العامة ودهماء الناس • فالاسلام الرسمي نموذج مثالي سعى العرب والمسلمون فيعهودهم المختلفة لوضعه موضع التنفيذ في حياتهم وهذهالمحاولات الدائبة للاقتراب من المثال هي الاسلام التاريخي • والحضارة الاسلامية في عمومها هي الاطار العام الذي يضم دوران فكرة الاسلام عبر الزمان والمكان • وقد بلغت هذه الحضارة قمة فكرية سامقة على عهد المأمون وتركزت بعده معظم الافكار الاساسية في الفكر الديني والسياسي والاجتماعي الى جانب العطاء العقلي الثر في حقل العلم الطبيعي والفلسفة • هذه هي الحضارةالعربية الاسلامية في صورتها الرسمية • لكن ما يترسب منها في نفوس الناسوأرواحهم ويتفاعل مع ظروف حياتهم المتغيرة المتطورة ـ وهو ما أعنيه بالثقافة ـ يختلف باختلاف الازمان والمناطق •

ويستطيع الانسان هنا أيضا أن يميز بين الثقافة الرسمية والثقافةالشعبية، اذ ان كل جيل وكل مجموعة تأخذ من الثقافة الرسمية المتوارثة ما يتلاءم وظروفها وامكاناتها • فالثقافة الشعبية هي ما تتمثله شخصية الجماعة من الثقافة الرسمية فيترسب في وجدانها ويصبح جزءا من اللاشعور الذي يوجه حياتها الخاصة والعامة وهو الذي يمنح الامة أهم مقومات شخصيتها • والواقع ان كل القيم الاساسية التي تكفل للمجتمع الرسوخ والثبات تدخل في عملية الهضم الثقافي هذه •

ولعل أخص خصائص هذه الثقافة الشعبية أنها تطويع للثقافة الرسمية لتلائم الظروف المحلية التي انتقلت اليها • وهذا التطويع لا يقف عند حد اللغة بل يتسع مداه ليشمل كل مظاهر الثقافة الاخرى وعلى رأسها الدين • والواقع ان مفهوم الدين ومظاهره في العقل الشعبي تختلف اختلافا واضحا في طول العالم الاسلامي وعرضه عن المفهوم النموذجي الرسمي • والسر في هذا الاختلاف يكمن في عملية التطويع التي أشرنا اليها • فان الاسلام حين دخل

هذه الاقطار لم يدخل أقطارا مجردة عن الفكر الديني في أي صورة من صوره المختلفة بل دخل وهذه الاقطار تعج بمختلف الاديان والنحل ودخل في صراع معها فأبادها على المستوى الرسمي كما فعل مع المسيحية والوثنية في السودان وأصبح الدين الرسمي فيه • ولكن الامر يختلف كثيرا على المستوى الشعبي فان كثيرا من المفهومات القديسة والطقوس المبادة على المستوى الرسمي قد اختلطت بالدين في أذهان العامة • والانسان ليس في حاجة الى أن يذكر أن طغيان العنصر الصوفي والاهتمام البالغ بكرامات الاولياء والتركيز على النوبة والطار والذكر وما الى ذلك من مظاهر الدين الشعبي في السودان لا تفسر بالاختلاف الكبير الذي قام في الاسلام بين الفقهاء والمتصوفة وحده • فان هناك في التراث الموروث ما جعل هذه المظاهر الصوفية تستقر أكثر من غيرها في وجدان الشعب •

وهكذا يستطيع الباحث المدقق أن يقارن بين ما حدث في بيئته وما يحدث في البيئات الاخرى ليرصد الفروق ويحلل أوجه الخلاف ويردها الى أصولها ومصادرها وبذلك يرسم خارطة دقيقة للعقل الشعبي في شتى مجالاته الحيوية• ومثل هذا العمل يحتاج الى أجيال عديدة تجمع التراث وتصنفه ثم تدرسه وتحلله • واذا أعوزتنا حتى الآن المادة الوافية عن مظاهر الثقافة الشعبية في السودان كما تتمثل في الفنون المختلفة والاساطير والطقوس وما اليها فاننا واجدون في دراسة لغة الشعب مجالا واسعا ــ وان لم يكن شاملا ــ تتبين فيه بعض جوانب هذا العقل الشعبي كما يجلوها لنا اللسان الشعبي • وأهمية هذا اللسان في دراسة الظاهرة الثقافية لا تحتاج الى بيان • فهو بمثابة الوعاء أو القالب للموروث الثقافي وهو في ذلك يعكس كل تطور أو تغيير يطرأ على حياة الناس العقلية والاجتماعية • ويكفي أن نذكر هنا أن كل الفروق التي تحدثنا عنها في بداية هذا الحديث الخاصة بالحضارة والثقافة وتمييزنا بين ما هو رسمي نموذجي وما هو تاريخي شعبي منها نلحظ صورة مشابهة له في مجال اللغة • فهناك اللغة الرسمية النموذجية ولكنها حين انتقلت الى البيئات المختلفة

تفاعلت مع الظروف الجديدة واصطبغت بألوان متباينة فخرج لنا هذا الحشد من اللهجات العامية الدارجة في العالم العربي • وكانت كل لهجة منها صورة حية لعملية التأقلم التي تطوعت بمقتضاها الثقافة العربية واللغة العربية لتلائم الظروف المحلية الجديدة •

والواقع ان التطور الذي أصاب اللغة العربية في السودان لا يمكن تفسيره كله بالرجوع الى الاصول العربية وحدها ، بل لا بد فيه من الاعتماد على كثير من المصادر القديمة التي لم تتيسر لدارسينا في صورة مكتملة حتى الآن • فمن الواضح ان اللغة العربية قد دخلت في صراع كبير مع عدد لا يحصى من اللغات ورواسب اللغات في السودان القديم وتأثرت في أصواتها ومعانيها بها فالى جانب اللغات النيلية والزنجية المجهولة لدينا حتى الآن كانت هناك اللغات الحامية المختلفة كلغات البجا ولغات النوبة القديمة وبقايا اللغات المندثرة كالمروية والفرعونية والقبطية بجانب لغات حضارية أخرى كاليونانية • ومن الواضح أن أثر اللغة اليونانية قد برز بوضوح في صلب اللغة عن طريق اللغة الفصحى أي مع دخول العرب اذ ان كثيرا من الالفاظ اليونانية المعهودة لدينا الآن معروفة في اللغة العربية كالملوخيا والمنخوليا وما اليها ، الا ان هذا التطور الاخير مسبوق بتأثير لليونانية قديم في السودان اذ أن اليونانية كانت لغة الدين المسيحي في الممالك المسيحية المعروفة في السودان ومن الشواهد على هذا التأثير القديم اسم الطائر المشهور بأم قيردون فهذه اللفظة يونانية الاصل• ومثلها لفظة الكورة الدالة على ذلك الزواج الجماعي المعروف لدينا الآن • فهذه لفظة يونانية قديمة أخذتها النوبية عن اليونان وتعني في الاصل « احتفال العذراء » • وأهمية مثل هذه اللفظة لا تقف عند معرفة مصدرها اللغوي القديم فحسب بل تشير الى عمق الموروث الثقافي وامتداده عبر الزمن• اذ من الواضح ان احتفال الزواج هذا الذي يلجأ اليه المواطنون في قرى السودان كحركة اصلاحية غرضها محاربة غلاء المهور وتكاليف الزواج الباهظة كان في الاصل القديم احتفالا دينيا خاصا بالسيدة مريم العذراء ولا ندري ان كان له علاقة بالزواج كما اننا لا ندري ان كان أهالي السودان في تاريخهم الطويل

قد ظلوا يحافظون على هذه العادة بعد انتهاء المسيحية • ولكن الامر المؤكد ان العقل الشعبي ظل يحتفظ بالاحتفال القديم ولم يستنكف من الاستفادة منه حين دعت الضرورة اليه بعد ان حور مدلوله ليلائم الظروف الجديدة •

وليس هناك من شك في أن الاثر الفرعوني والقبطي سواء أكان فيعادات الناس أو لغتهم أثر بالغ القدم ولم يأت مع تدفق موجات المهاجرين من الشمال في العصور الحديثة • ولعل كثيرا من المصطلحات الخاصة بالنيل والزراعة من مخلفات هذه اللغات المصرية في لغاتنا النوبية • ويكفي ان نذكر في هذا المجال ألفاظا مثل الدميرة والمسور والشيمة وأسماء الرياح التي يعرفها النوتية كالطيّاب والمريسي دلالة على الريح التي تهب شمالا والتي تهب جنوبا • والواضح أن مملكة المريس التي كانت في جنوب مصر وشمال السودان قد أخذت اسمها من هذه اللفظة وهي في أصلها الفرعوني ماريس بمعنى قبلي أو جنوبي أو آت من جهة الصعيد • فهي بالنسبة لسكان شمال مصر مملكة الصعيد • ولا يزال أهالي شمال السودان يشتقون من هذه اللفظة لفظة مرساب اذ يقولون « البحر مرساب » أي ضئيل الفيضان • وفي كثير من أجزاء النيل يتحدث السكان عن المريس ويعنون القطعة من النهر المنفصلة عن بقيته تتعثر فيها المراكب الشراعية ، ويقولون « تمرست المركب » تعثرت هكذا • ولا علاقة للفظة المريسة الدالة على المشروب المعروف بهذا الاصل الفرعوني اذ هي من المريس العربية والمريس كل ما مرسته (أي نقعته في الماء ومريته باليد حتى تتحلل أجزاؤه) في الماء من التمر والماء •

وكثيرا ما يوقع مثل هذا التشابه في أصول الالفاظ في أخطاء جسيمةخاصة اذا كان صوت الكلمة ومعناها قريبا من الاصل العربي فكلمة الاجوادالمشهورة والتي تجمع على أجاويد وتعني من يتوسطون بين المتنازعين ويسعون لرأب الصدع قد يتبادر الى الذهن ان أصلها الجود لان من يقوم بهذه المهمة لا بد أن يكون كريم النفس • وقد قال الحاردلو يمدح : بعرفك كنت تقوم فيحجازة

واجوادية • والواقع ان الكلمة ليست من الجود في شيء وانما هي نوبيةالاصل مكونة من مقطعين أولهما اج بمعنى مختلف وواد بمعنى الفاصل والمعنى العام الذي يفصل بين المتنازعين • ومثلها لفظة عرق الدالة على تيار النهر الشديد فهي من النوبية أر (بتشديد الراء وكسرها) والقاف الاخيرة هي حرف المفعول التي تلحق بكثير من الالفاظ النوبية وتشير في وضوح الى أصلها • ومثلها كلمة الدفيق لذلك البلح الضامر الذي توقف نموه فهي لفظة نوبية أصلها دفّي التسر غير الناضج ودفيق صيغة المفعول • ولا علاقة لها بالفعل دفق العربي • ومثل ذلك يصدق على كثير من الالفاظ البجاوية الاصل فنحن حين نقول « فلان سكت تم » أي صمت صمتا مطبقا فان لفظة تم ليست من التمام وانما هي لفظة بجاوية تعني الصمت ومثلها في ذلك لفظة الدعاش لرائحة المطر المشهورة ولفظة التبس للنبات ولفظة الدبس للورم المعروف فكل هذه ألفاظ بجاوية • وحتى لفظة العفرت بمعنى الدخان قبل أن يصير سحابا ليست من كلمة عفريت العربية وانما هي بشارية الاصل بمعنى السحاب والغيم • والامثلة على ذلك كثيرة •

ومن الظواهر التي تسترعي النظر في مجال التكون اللغوي ذلك التمازج الذي يحدث بين الالفاظ العربية وغيرها وقد يكون المقطع او الجزء العربي الاصل قد اختفى من اللهجة كلفظ مستقل ومثل ذلك لفظة القرب بمعنى الخاصرة التي لا نجدها هكذا في العامية ولكننا نجدها متصلة بالمقطع البجاوي آب الدال على النسبة في لفظة القرباب الدالة على التنورة المعروفة • وقد نجد في بعض الاحيان الصيغتين معا وفي ذلك مافيه من الدلالة على اختلاف التأثير في المناطق المتباينة • فالناس في معظم أنحاء السودان يعرفون لفظة الكترابة الدالة على رائحة الشواء وما اليه وهي مكونة من لفظة القتار الفصحى بنفس المعنى زائدا المقطع البجاوي آب • ولكن لفظة القتار معروفة بصيغتها الفصحى ومعناها في غرب السودان • ولا يعني هذا أن غرب السودان لا يعرف الكلمات المتأثرة بهذا المقطع البجاوي فان انتشار هذا المقطع في بوادي السودان وقراه

وحوانره من الاتساع بحيث لاتكاد تسلم منه أي لهجة قبلية مـن لهجات المتحدثين بالعربية في السودان ويكفي أن تذكر ان لفظة دعك لاذلال الخصم معروفة في الفصحى وفي عامية وسط السودان • قال العبدلابي : تور المدعكة بقة عقود السم ويعني الحرب • ولكن الكبابيش في كردفان يسـون القتـال الدعكاب • قال أحدهم : فرسك ليلة الدعكاب * لقوح التيتل التكبس على المتلاب • ويستعمل الحمر غيرهم في غرب السودان لفظة الدكناب للغبار • قال الحمري : بشوف دكنابك يا أم رشّام وقف طابور • والواضح أن الكلمة من الأدكن أي المائل الى السواد •

ولكن عامية السودان من جهة أخرى تضرب في عمومها بسهم وافر فـي التراث العربي القديم وقد يتطلب منا دراسة أصل كلمة واحدة مثل كلمـة البيّاح الى الغوص البعيد في أعماق أمهات المعاجم • فنحن حين نقول : بيّح البيّاح وبيّح الفجر نعني طلوع الفجر ، وبعض أهل الغرب كالحمر يقولون البوّاح في مثل قول المغنية : من طلعة البوّاح * لنوم عيوني انزاح • وكل ذلك من لفظة البوح وهي اسم علم للشمس عند العرب القدماء ، وقد اشتققنا من ذلك الالفاظ الدالة على الظهور والضياء في مثل قولة الحمرية : يا قمر التسوع * دا البوّح للطلوع • والملاحظ ان هذا المعنى يجيء متصلا بالقمر كثيرا ويصوغون من ذلك لفظة بوبح في أجزاء أخرى من السودان بمعنى ظهر واكتمل ضياؤه في مثل قول الشاعر يصف جمله : وكت القمير بوبح لو * دابو الجري اسّمّح لو • وقد تحذف الحاء الاخيرة فيقولون بوبي ومن ذلك الحلية المشهورة عند الشايقية المسماه « القمر بوبي » أي القمر اكتمل نوره • وقـد يستعمل هذا المعنى مجازا للكمال والامتداد والتمام في مثل قول الحمري من غرب كردفان : الليل بوبي وحكيمك طن • وفي مثـل قول الرباطابي يتغزل واصفا عنق حبيبته بالطول : بوبح لك عنق وهدّل يداكي • وفي مثل قـول الشكري يصف ابعاد جمله في السفر : جبتو اللياة واتبوبح ضرب فوق يابسة. ومن ذلك سموا الارض القفر البعيدة الاطراف البوباحا والبياحة في مثل قول

الآخــر في جبال : أداهن البوباحا * سو"الن الطوطاحا • وتروى أيضــا البيّاحة • والواضح أن كل هذه المعاني ليست من لفظــة باح يبوح بمعنى الافشاء والظهور فنحن نعرف هذه اللفظة كما يعرفها العرب ولكننا اشتققنا كل هذه المعاني من اللفظة الخاصة بالشمس مصدر الضياء والتي لم تعـد عاميتنا تعرفها معرفة مباشرة الا عن هذا الطريق الطويل الملتف الذي تتبعناه الـى المصدر الاصيل لمشتقاتنا هذه •

سقت هذه النماذج المقتضبة خبط عشواء لأبيّن مدى التعقيد في نسيجنا اللغوي الذي يشف عما وراءه من تعقيد في الموروث الثقافي وآمل أن أتناول أطرافا من ذلك في فرصة مقبلة باذن الله •

اللغة والبيئة

من أعظم نعم الله على الانسان قدرته الفائقة على التلاؤم مع ظروف البيئة المتغيرة • ولعل من أكثر أدواته فعالية في هذا السبيل أداته اللغوية فاللغة من أبرز مظاهر سيطرته العقلية والفكرية على بيئته المحيطة وهي من هذه الناحية تجسيد حي على قدرته على التلاؤم الحضاري • ولكن الفتنا الشديدة للظاهرة اللغوية تحجب عنا أهمية كثير مما يجري في هذا المجال من نشاط له دلالاته البعيدة على حساسية الانسان الفائقة ومرونته الشديدة على التكيف بحيث تصبح اللغات ولهجاتها المختلفة معايير بالغة الدقة على قدرة الانسان على التطور والتكيف والتلاؤم • وليست العبرة هنا بالعدد الضخم من اللغات التي ابتدعها الانسان في كل بيئة من بيئاته والتي يفوق عدد المعروف منها حتى الآن الثلاثة آلاف لغة أساسية بل يكفي أن ينظر الانسان في اطار اللغة الواحدة في البقعة الجغرافية الواحدة ليدرك مقدار التنوع والاختلاف في علاقة الانسان باللغة• وهذه العلاقة من التعقيد بحيث يصعب على الانسان الوصول الى تعريف جامع مانع للغة ما مهما بلغت من الكمال الا اذا وضع في الاعتبار كل الخلافات في الاصوات والمعاني التي تنتظم الرقعة التي تشملها اللغة المعنية • ولهذا السبب جاء تعدد اللهجات في صلب اللغة الواحدة • ولهذا السبب كان الناس يتواضعون على اعتبار لهجة بعينها أفصح اللهجات وأدلها على اللغة الام دون سواها من اللهجات • وهذا واضح في اللغة العربية حين قصر اللغويون استشهاداتهم على قبائل بعينها اعتبروها مصدر الفصاحة وسلامة النطق أي اتخذوها نموذجا للاحتذاء • ومثل ذلك يتم في معظم اللغات كما هو الحال الآن في معيار الفصاحة في اللغة الانجليزية حين اتخذوا من شرق انجلترا عمدة للفصاحة ومن

يوسطون في امريكا مثالا لسلامة اللهجة الامريكية ، وحساسية الجهاز الصوتي للانسان انعكاس واضح لحساسية قواه العقلية والجسدية فهو يتطور ويتحور بانتقال الانسان من بيئة الى بيئة ولعل العوامل الطبيعية المختلفة أثرها الكبير في احداث هذه الاختلافات الكبيرة في جهاز الانسان الصوتي . ومما أصاب ألسنة المتكلمين باللغة الانجليزية في أقطارها المختلفة دليل واضح على ملاءمة اللسان لاختلاف البيئة ، فان الانسان يستطيع أن يميز بين الاسكتلندي والانجليزي والامريكي والاسترالي والكندي وساكن جنوب افريقيا دون كبير عناء وكان العرب يميزون بين مختلف القبائل بهذه البيئات الصوتية التي آثروا من الحديث عنها كالكشكشة والكسكسة والعجعجة والطمطمانية والخلخلة .

وكما تأثرت اللغة العربية بأقاليم شبه جزيرة العرب واختلفت ألسنة القبائل باختلاف مواقعها الجغرافية عظم تأثرها بانتقالها الى خارج شبه الجزيرة وانبساطها في اقطار متباينة فتكلم بها الاسلاميون لغات مختلفة ومن ثم تحور اللسان العربي في كل هذه البلدان ليتكيف بالظروف المحيطة ولهذا السبب اختلفت ألسنة المتحدثين بالعربية في الاقطار العربية المتعددة ويستطيع الانسان من شبه الحال أن يميز بين السوداني والعراقي والايطالي والمصري والتونسي والجزائري والمغربي وغيرهم من ابناء العروبة . والناظر في اللسان السوداني لا يحتاج الى كبير عناء ليكتشف ان هذا التعقيد في علاقة الانسان باللغة التي ينطقها القبائل ، وليس هناك في الواقع لهجة عامية واحدة تتكلم كل السودان او معظم اجزائه وانما هي نفس الظاهرة الانسانية تتكرر بتكرر المواقع الجغرافية والظروف الطبيعية والانسانية فتجعل لسان الشايقي يختلف عن لسان المحسي ولسان هذا يختلف عن لسان الرباطابي وان تجاوروا . وتجعل لسان الشكري يختلف عن لسان الكباشي وان جمعتهم البداوة . وتجعل لسان الكباشي يختلف عن لسان الحمري وان قربت بينهما البقعة الجغرافية . وقل مثل ذلك في اختلاف ألسنة البقارة وغيرهم عمن سواهم من القبائل العربية في السودان .

صحيح ان كثيرا من هذه الاختلافات في طريقة الكلام ومحتواه يمكن رده الى خلافات قديمة في لهجات العرب وقد عدد الباحثون من ذلك الكثير . ولكن الكثير من الظواهر اللغوية في السودان وليد البيئة الجديدة وهو في ذلك تصوير دقيق لاستجابة الانسان لظروف البيئة المتغيرة في بوادي السودان واصقاعه . ومثل هذه الظواهر اللغوية التي اتحدث عنها الآن حديثا عابرا عاما قد اصبحت الآن ميدانا خصبا للدراسة العلمية المخبرية وأملنا كبير في أن يتناول المختصون هذه المناطق اللغوية بالدراسة قبل ان تطغى عليها «اللهجة النموذجية» في السودان الاوسط وفي العاصمة بالذات .

وكثير من هذا التعقيد الكبير الذي يحيط بالظاهرة اللغوية ينبع من اتصالها الوثيق بنفسية الانسان وعقليته . ومن ثم فان كثيرا من جوانبها يصعب تفسيره وتعليله على الرغم من بداهته للنظرة الاولى . اذ اننا ان اكتشفنا ان هنالك تشابها بين ظاهرتين مشتركتين بين عامية السودان والفصحى فان السؤال عن سر انتشارها في العامية دون سواها من الظواهر الاخرى ما يزال قائما . مثال على ذلك ظاهرة التحريك والاتباع في عامية السودان على وجه العموم الامر الواضح ان السودانيين في معظم الاحوال يميلون الى تحريك السواكن في كثير من الكلمات وبذلك تطول الكلمات او تطول بعض اجزائها على الاصح . معظم العرب المحدثين الآن ينطقون كلمة كلب بسكون اللام في العامية ولكن كثيرا من اهل السودان يكسرون اللام ومثل هذا كثير . وشبيه بذلك الاتباع بين مختلف الحركات المتجاورة في الكلمة الواحدة فعادة كثير من اهل السودان قلب حركة واحدة ولهم غرام شديد بالكسر فكلمة لعب بفتح اللام وكسر العين تصبح بكسر الحرفين وكلمة بعد بفتح الباء وضم العين تصبح بكسر هذين الحرفين . وليس ذلك كله غريبا على العرب القدماء فقد ورد عنهم الكثير في مجال التحريك والاتباع ولكن هاتين الظاهرتين لم تبلغا مبلغ القاعدة في القديم لا ارى انهما مثيلا في الشمول في لهجات العرب المحدثين يبلغ مبلغ ما هو حادث في اللهجة السودانية عامة . ورسوخ الظواهر بهذه الطريقة الشمولية

بحيث كادت أن تصبح قواعد مطردة هو الذي يحتاج الى التعليل والتفسير .
وقد يكون التسهيل في النطق هو الدافع لغلبة هذه الظاهرة بالذات ولكن
السؤال ما يزال ملحا لماذا كان في ذلك تسهيل على اللسان العام في السودان
دون سواه من أقطار العروبة ؟ ومن هنا تنبع أهمية دراسة البيئة وأثرها الكبير
على تأكيد بعض الظواهر دون سواها . ومعنى ذلك أن قولنا أن لظاهرة ما
أصلا قديما لا يكفي لتعليل غلبة الظاهرة خاصة اذ لم تكن مطردة في لسان
العرب الاقدمين . وعلينا اذ نبحث عن الظروف التي أتاحت للظاهرة المعنية
سبيل الانتشار والرسوخ والتأكيد .

ولعل من أهم ما يلفت النظر في هذا المقام أثر اللغات القديمة التي استقر
النازحون من العرب في وسط المتكلمين بها . ومن الامور البديهية ان العربية
وان قضت على هذه اللغات في مناطق كثيرة من السودان الا انها لا بد ان
تكون قد تأثرت بها في كثير من جوانبها مثلما تأثرت كثير من اللغات الحية
الاخرى في السودان بالعربية في تراكيبها ومفرداتها والشواهد على ذلك كثيرة
من النوبية والبجاوية ولغات الفور وما اليها . وتأثر العربية بهذه اللغات
القديمة يتراوح بين التأثر البين الملموس كاضافة مقاطع بعينها لها دلالاتها
الخاصة للعربية لتحمل نفس الدلالات التي كانت لها في لغاتها الاصلية من مثل
المقطع آب وايب من البجاوية كما ذكرت في مناسبة ماضية والمقطع ايق وآق
من النوبية والمقطع آية المجهول الاصل والدال على الافراد والتصغير في قولك
غنماية ونملاية . ويدخل في ذلك الاصوات الكثيرة التي لا تمت للعربية بصلة
والتي هي أقرب للغات الافريقية من مثل ذلك الحرف الذي هو بين النون
والجيم . ولكن هناك بجانب هذه الظواهر البارزة للتأثر باللغات المحلية جوانب
أخرى خفية من التأثر في النطق والتركيب ما تزال في حاجة كبيرة للبحث
والتنقيب . فقد تدلنا الدراسة المتعمقة للتركيب الصوتي للنوبية والبجاوية
وغيرهما من اللغات المحلية على أن غلبة بعض الظواهر الخاصة على عامية
السودان كالاتباع والتحريك مثلا مرده الى تأثر المتكلمين بالعربية بهذه اللغات

في نطقهم وطريقة كلامهم من تفخيم بعض الحروف وترقيق ومن تحريك واسكان ومن قلب وابدال وتركيب الجمل • فمن الواضح أن كثيرا من الظواهر النحوية والتركيبية في عامية السودان غريبة على العربية • فقد لاحظ امبروستر في كتابه عن قواعد اللغة النوبية الدنقلاوية ان قول العامة في السودان « القطر قاعد يمشي » و « الجرادة قاعدة تنطط » من تأثر العربية بالدنقلاوية فان لفظة قعد أو ما يقابلها بالدنقلاوية تعني الانشغال والعمل والعملية • ولملاحظة امبروستر اهميتها رغم أن اللغة الفصيحة لا تخلو من مثل هذا الاستعمال • ولكن العبرة هنا بغلبة استعماله في عامية السودان وقد يكون في شيوعه في النوبية حافزا قويا على غلبته في عامية السودان • ومما يلفت النظر في هذا المجال شيوع كسر اواخر بعض الكلمات بطريقة تجعلها ياء أو قريبة من الياء ويكثر هذا في شمال البلاد • فالشايقية مثلا يلحون على هذه الياء في مثل قولهم الساقي للساقية والاجازي للاجازة ولهم في ذلك ملح وطرائف • هل نقول ان هذا من تأثير اللغات النوبية التي استقروا في وسطها والتي ما تزال تجاورهم والتي يكثر في أواخر كثير من كلماتها هذه الياء مثل عردي للعرديب وعنقري للعنقريب ودقي للدقيق وماري للماريق وهذه القاف الملحقة علامة المفعولية • وغير خاف ان انحصار الشايقية وجيرانهم من المناصير والرباطاب في منطقتهم الفقيرة التي يصعب الاتصال بها والتي لا تتيح لاعداد كبيرة من الناس رغدا من العيش ساهم ــ كما أوضحت في مقام آخر ــ في تأكيد هذه الظاهرة بالذات وغيرها من الظواهر التي تبرز في كلامهم وكلام جيرانهم من المناصير والرباطاب وغيرهم من سكان شمال السودان •

ومن الواضح ان اتساع رقعة أرض السودان وتباعد أطرافه واختلاف بيئاته الجغرافية والانسانية يفتح المجال واسعا لتنوع اللهجات وتباين أساليب الكلام ويكفي أن ينظر الانسان في لهجات غرب السودان وخاصة كردفان ليتبين أثر البيئة في تشكيل اللغة نطقا ومحتوى وشكلا • فلهجات البقارة تختلف عن لهجات الابالة ولهجات هؤلاء تختلف عن بعضها بحكم الموقع والاختلاط بغيرهم

من السكان الاصليين وتفصيل كل ذلك يحتاج منا لجهود مضنية في الرصد والتسجيل والمقابلة والدرس والتمحيص •

وقد بين في مجالات أخرى انه رغم هذا التباين والتنوع في اللهجات العربية في السودان فان هناك سمات عامة مشتركة بين المتحدثين بالعربية في السودان مما يدل على علاقة تقارب واتصال بين مختلف المجموعات العربية في أقطار السودان المتباعدة • وتمكن كثير من الظواهر اللغوية الناجمة عن الاختلاط بالبيئات الاصلية التي عاشت في وسطها القبائل والمجموعات العربية في كثير من لهجات السودان العربية وان بعدت عن هذه البيئات الاصلية يثير تساؤولا كبيرا حول الطريقة التي تمت بها للغة العربية الغلبة على ما سواها من اللغات الاصلية • ومن الواضح ان هذه الغلبة لم تتم عن طريق القوة والكثرةالعددية بحيث نقول ان القبائل العربية الوافدة كانت من الكثرة والقوة بحيث أبادت السكان الاصليين من النوبة والبجة والقبائل الحامية والزنجية والنيلية وحلت محلها • والاقرب من ذلك أن تتصور تسربا بطيئا لهذه القبائل العربية التي كانت تمثل حضارة فتية قوية وثقافة أكثر حيوية مما وجدته خاصة وان الممالك النوبية المنتشرة على النيل كان قد أصابها الوهن واعتراها الجمود لحقب طويلة والواضح ان ثقافتها لم تكن من الغنى بحيث تصمد أمام الثقافة الوافدة • وبسيطرة هذه الجيوب العربية على مقاليد الامور انفتح المجال للتوسع فينشر الثقافة واللغة العربية وبذلك تم تعريب السكان خاصة في منطقة السودان الاوسط التي هي مركز الثقل الحضاري كما بينت في مقالة سابقة • وما دام أكثرية المتكلمين بالعربية من المستعربين من سكان المنطقة فقد تأثرت العربية بما درجت عليه ألسنتهم وتعودته من حركات وأساليب للنطق في لغاتها الاصلية • ومن الواضح ان تمازج العرب بالسكان الاصليين كان بعيد المدى فقد ذابوا في السكان الحاميين في المنطقة ما عدا جيوب متبدية احتفظت ببعض الملامح العربية • وكان ذلك سبيلا لتأقلم العربية في السودان هذا التأقلم الذيأكسب العربية هذه الميزات التي تحدثنا عن بعضها والتي جعلت منها لهجة متميزة من لهجات العروبة •

العاميّة في السودان

منذ أن اكتشف الانسان أمر اللغة انفصل عن بقية الحيوان واكتسبت حياته على الارض بعدا ثالثا يمتد عبر المكان والزمان فأصبح بفضل ذلك حيوانا ذا تاريخ .. لان اللغة تسجيل دقيق لحياة الانسان في كل مجالاتها العقلية والشعورية فكما أن لكل فرد منا عقلا يفكر به ويختزن فيه تجاربه فاللغة للمجتمع بمثابة العقل المشترك تختزن فيه المجموعة تجاربها وحكمتها وحضارتها. فاللغة اذن تاريخ . أو هي الاطار الذي يدور فيه التاريخ ... وأنا أريد أن أتصور هذا الاطار كشريط التسجيل يمتد عبر الزمان وتنطبع على صفحته مختلف التيارات الحضارية التي تعاقبت على هذه الرقعة من الارض في تاريخها الطويل . لكن هذه التيارات كانت تصطرع وتتلاحم فقد كان السودان منذ القدم معبرا هاما للحضارات ونقطة التقاء لها ولغتنا العامية تمثل من هذه الناحية النتاج النهائي لعملية التلاقح الحضاري . فهي اذن صورة صادقة لحياتنا عبر التاريخ واذا درسناها دراسة جادة فاننا نستطيع أن نستخلص منها معظم التيارات الحضارية التي تعرض لها السودان .. لان كل تيار يترك أثره في شكل كلمات .

ومن البديهي ان السودان كغيره من المناطق الافريقية كان وما يزال يعج بمختلف اللغات واللهجات ، ولا بد أن وسط السودان الذي يتحدث الآن اللغة العربية كلغة أم كان قبل انتشار العربية يتحدث بلغات مختلفة مثله في ذلك مثل بقية أجزاء القطر . وقد كان دخول العرب في السودان نقطة تحول خطيرة أحدثت هزة انسانية ولغوية عنيفة ونتجت عنها تعديلات بعيدة الغور في كيان

البلاد . ولكن مدى تأثير هذه الهزة مرتبط الى حد كبير بتحركات القبائل العربية ومناطق استقرارها اذ ان موجة الفتح سرعان ما انحسرت عن الاطراف وتركزت في الوسط الذي كان أقرب الى بيئة العرب . وهكذا أصبحت هذه المنطقة مركز الثقل بالنسبة للتجمعات العربية وبالتالي تعرضت للنفوذ العربي المباشر الذي تسنده قوة القبائل النازحة وتم للعربية الغلبة أو ما يشبه الغلبة على اللغات المحلية السائدة وكلما بعدنا عن مركز الدائرة تضاءل النفوذ العربي المباشر ووجدت اللغات المحلية فرصة أكبر للحياة . ففي محيط الدائرة شمالا ما زال الناس يتحدثون باللغة النوبية ولهجاتها الاربع عند الكنوز والسكوت والمحس والدناقلة ؛ وفي الشرق يتحدثون باللغة التبداوية ولهجاتها الخمس عند العبابدة والحلنقا والامرأر والبشاريين والهدندوة وهي لغة حامية في حين يتحدث بعض البني عامر من البجة لغة التيقرة وهي لغة سامية ذات صلة بالحبشة واذا تتبعنا محيط الدائرة الى الجنوب الشرقي نجد الانقسنا يتحدثون بلغتهم الخاصة وفي الجنوب تنتشر أكثر من مائة لغة وفي الغرب اللغات الدارفورية ولغات النوبة لكن كل هذه المناطق تأثرت في كثير أو قليل باللغة العربية وأثرت فيها .

وليس في السودان لهجة عامية موحدة تربط بين المناطق التي تتخذ من اللغة العربية لغة أم بل ان كل منطقة وكل قبيلة لها لسانها الخاص وهي تتفاوت في مدى محافظتها على عروبة اللغة باختلاف البيئة وبمقدار تأثرها بالعناصر المجاورة التي تتخذ لغة غير العربية لسانا لها .

وأنا أريد أن أتخذ من اللهجة أو على الاصح اللفظة أو الكلمة العامية السائدة في منطقة الخرطوم وما جاورها نقطة انطلاق لدراسة الظاهرة اللغوية كسجل لتراث الماضي في كل أبعاده القريبة والبعيدة .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو كم عربية هي هذه اللهجة ، خاصة وقد قلنا ان هذه المنطقة قد تعرضت للنفوذ العربي المباشر وفقدت لغاتها المحلية القديمة وأصبح سكانها يتحدثون هذه اللهجة كلغة أم . والواقع أن اللغة

العربية دخلت في صراع مع اللغات السائدة ودوختها ولكن مثل هذه الحالات وقياسا على القانون اللغوي العام فان الانتصار قل ان يكون كاملا ولا بد من ان تترك اللغات المندحرة آثارها في شكل ألفاظ او آثار اخرى في النطق والتحريف •

رواسب اللغات المندحرة :

ونحن اذا أمعنا النظر في لهجتنا العامة نستطيع أن نكتشف اننا ما نزال نحتفظ بكثير من رواسب اللغات الميتة كالفرعونية والنوبية والزنجيةوالبجاوية التي تخلفت عن المعركة ودخلت في الاطار العربي ونستعملها في حياتنا اليومية • والسر في بقاء هذه الرواسب في صلب لهجتنا العربية ان للغة وظيفة اجتماعية تؤديها والكلمات تبقى وتندثر بمقدار نجاحها أو فشلها في تأدية هذه الوظيفة • فلقد عاش العرب في الصحراء ولكنهم عندما استقروا في أماكن الزراعةوخاصة علىضفاف النيل لم تسعفهم لغتهم بالالفاظ المواتية التي تعبر عن هذه البيئة الزراعية وكان من الطبيعي أن تستتر معظم المصطلحات النوبية والفرعونية الخاصة بالموضوع لحاجة الناس اليها فالساقية مثلا لم تكن معهودة لدى العرب ولذلك لم يجدوا في لغتهم من اصطلاحاتها الا عددا قليلا مثل العطفة والحلقة والدلو أو الدروة والجابية وأما باقي الاصطلاحات ويتجاوز الثلاثين فكلها نوبي مثل : الكوريق والسندقيق والسبلوقة والتوريق والاروتي والجرق وكذلك الامر في النبرو أو الشادوف ومعرفتهم بألوان الارض النيلية مثل الكرو والكرس والقرير والانقاية والتقنت والمقة والمسور محدودة فبقيت هذه الالفاظ حية وكذلك أسماء الآلات الزراعية مثل الواسوق والكوريق والملودوالسلوكة والخوسة والبدينق • وواجهوا في السودان ألوانا جديدة من النبات وما يستخرجمنه لا قبل لهم بها مثل العرديبوالماريق والنبش والحنقوقوالعاشيق واللبسيق والسبروق والكبكبيق ، واللعوت والكليت والويكة والقبانيت والكاويق والويكاب وكلها نوبية فاحتفظنا بها كما كانت • وللبيئة أيضا تراثها

الحضاري الموروث الذي ظل يصارع الزمن فاتتصر عليه في شكل كلمات كثيرة مثل البرش والسبتة والكبوتة والقسيبة والكابدلو والتقروقة وغيرها من أدوات المنزل التي ظلت تحتفظ بأسمائها القديمة • وكذلك الحال في بعض ألوان الاطعمة الخاصة مثل الآبري والرييت • وفي مجال العادات الاجتماعية ما زلنا نحتفظ بالجرتق والسومار والكبريت في الاعراس • أما من ناحية أسماء الحيوانات والطيور فقد تمت الغلبة للعربية الا في دائرة ضيقة نجد فيها من مخلفات النوبة الكديس والعبلانج والككو والجلق والعنبلوق وأم قيردون •

ولا يقف الاثر النوبي عند هذا الحد بل ان كثيرا من أسماء المدن والقرى والاشخاص في السودان يقف شاهدا على عمق الاثر الذي تركوه في حياتنا فمن الاسماء النوبية في منطقة الجزيرة برنكو وتنوبا بالقرب من الحصاحيصا ومعناها ارض النوبة وأربجي ومعناها مكان العرب ومارنجان أصلها ماريق ن جنه اي ذرة الملكة ، مزيقيلا (ج حاج عبد الله) مس ن قيلا اي العين الحمراء ، سنار : اس ن آرت جزيرة الماء أو الاخت ، قرى : شؤم ، أم بكول ر أمب : دوم كول ذات) ذات الدوم ام دوم ــ وقد عرب هذا الاسم في قرية أم دوم بمنطقة الخرطوم ولعل كثيرا من أسماء الاماكن التي تبدو لنا غريبة مثل الخرطوم وأم درمان وشبات والحلفاية والكدرو وسوبا والباقير وما اليها من مخلفات العهد القديم •

واذا تركنا التيار النوبي فاننا نصطدم مباشرة بالتيار البجاوي الذي ينساب قويا في صلب لهجتنا ويقف شاهدا على أن الاتصال بين المجموعات البشرية في السودان كان منذ القدم قويا وحادا • فنحن نتحدث بالتبداوي حين نذكر المرفعين والبعشوم والبعنيب والصقر أو نستعمل العنقريب والكركب والفندك والدانة للشراب والسكسك والكورية والنصل أو حين نأخذ الشبال في العرس ونستعمل في مجال الاطعمة الدوف والقنقر والعنكوليب • أو حين نقول لمن لم يحالفه الحظ جلا أو ننادي الطفل بالدرفون أو نشكو من الدبس ونبرم

الشنب ونطبل البيت بالطبلة ونقول لمن يرحل قنجر ونصف الشفاه الغليظة بالشلاليف وأصل الشلوف عندهم خرطوم الفيل • وسنرى بعد قليل أن تأثير البجا في لهجتنا أعمق من ذلك بكثير ••• والسؤال الذي يجابهنا هنا هو هل امتد نفوذ البجا الى منطقة وسط السودان فأثروا منذ القدم في اللهجة تأثيرا مباشرا كما فعل النوبة أم أن هذا التأثير قد انتقل الينا عن طريق القبائل العربية والتي استقرت لفترة في أرض البجا بالشرق ثم انساحت الى منطقة الوسط •• هذا سؤال ستكشف الايام عن الاجابة عليه وقد علمت مؤخرا ان لاستاذنا البروفسور مكي شبيكة نظرية في هذا الخصوص مؤداها أن معظم القبائل العربية جاءت الى السودان عن طريق الشرق فانتقل معها هذا الاثر البجاوي الى أواسط السودان •

وكانت علاقة السودان بمصر قوية منذ العهود الفرعونية والقبطية وما زلنا نحتفظ في لهجتنا بشواهد على هذه العلاقة القديمة في شكل كلمات كثيرة مثل الكلمات النيلية كالدميرة والشيمة والشلباية والريح المريسي (الجنوبي) والطياب (الشمالي) عند النواتة ولفظة الطورية • والاثر الفرعوني يدور على ألسنتنا كل يوم في لفظة شنو (وقد وردت نفس الحروف بمعنى يسأل) • وفي لفظة كاني ماني (سمن وعسل : في دكان الزلباني) • وحين نزجر الحمار بلفظة عر فلعلها من عا وتعني الحمار بالفرعونية • وفي علاقتنا بأطفالنا نتحدث أحيانا بالفرعونية في شكلها القبطي خاصة في مثل لفظة (أمبو) بمعنى أشرب أو الماء وللفظة كخ وهي القذارة • ولعل الكثيرين منا لا يدرون عندما يخيفون أطفالهم بود أم بعلو أو البعبع انهم يستعدون عليهم العفريت المصري القديم بعبع الذي كانت مهمته اخافة الاطفال • ويتهم أحدنا الآخر بأنه تليس والتليس هو الجراب أو الزكيبة بالقبطية ومن الالفاظ القديمة التي نستعملها الآن لفظة جاي في قولك تعال جاي وكانت تستعمل قديما لطلب المعونة والاستغاثة • وأيضا لفظة ياما « يا ما قرن الثور شايل » بمعنى كثير بالقبطية ، وعندما نجيب على نداء بقولنا أها (قبطية بمعنى نعم) • كوش عليه : تركه لا يملك شيئا أو تركه عريان •

ولا بد ان للغات الافريقية القديمة أثرها في لغتنا خاصة الالفاظ التي تضم الصوتين نا (نانا) نيام نيام نم نم نل ناو وجا (سجك بجك) ومن الالفاظ الافريقية القديمة لفظة قرتي لفرس البحر وتستعمل في الشمال والجنوب • ولا بد ان الفاظا مثل القعونجة والتامبيرة وغيرها من الالفاظ المجهولة حتى الآن هي من مخلفات هذه اللغات وسيكشف عنها البحث باذن الله •

كل هذه المخلفات القديمة وآلاف غيرها درجت على الالسنة منذ أقدم العصور ولم تستطع اللغة العربية القضاء عليها لان استمرارها كان ضرورة اجتماعية لانها كانت تؤدي وظيفة اجتماعية او تعكس ظواهر اجتماعية وكانت اللغة العربية من الطواعية والمرونة بحيث ضمتها اليها وأصبحنا الآن لا نكتشف أصولها الا بالدراسة والبحث •

اللغة العربية :

ولكن هذه اللغة العربية التي نجحت الى حد كبير في اخضاع اللغات القديمة وهضمت ما بقي من مخلفاتها واجهت تحديات البيئة الجديدة واضطرت بمرور الزمن الى التكيف معها وسرعان ما تطورت لغة الحديث الى لهجة تختلف كثيرا عن اللغة الام وان احتفظت بكثير من خصائصها وبعض هذه الخصائص قد اندثرت الآن في اللغة الفصيحة ولكن لهجتنا تحتفظ بها كشاهد على هذا الاصل القديم الضائع • واللهجات دائما تمثل التطور السريع المتصل في المجتمع فهي تحور كثيرا من الحروف والعلامات بحيث تلائم ظروف المتكلمين وتتوخى في هذا التحوير سهولة التداول وسرعته حتى تؤدي وظيفتها الاجتماعية في أبسط صورة ممكنة •

والناظر في بعض اللهجات العربية السائدة في بعض مناطق السودان يحس بالعلاقة القوية بينها وبين بعض القبائل العربية في جزيرة العرب • فان اللغة العربية لم تكن في الاصل لغة أمة واحدة بل كانت خليطا من اللهجات لقبائل

كثيرة تبلورت قبل الاسلام في لغة قريش ولكن مع سيادة قريش احتفظت كل قبيلة بلغتها الخاصة وتنقلتها معها حين نزحت خارج الجزيرة قبل الفتح وبعده فمن الظواهر اللغوية التي امتازت بها قبائل عربية بعينها ونجد لها صدى في لغتنا :

(١) ابدال الحاء هاء (حسن : هسن) في كردفان تقابل لغة بني سعد بن زيد مناة بن تميم ولغة لخم وعليها قول رؤبة : لله در الغانيات المده ، يريد المدح • وقوله براق أصلاد الجبين الاجله : الاجلح ، وقولهم باقلاء هار : حار •

(٢) ابدال العين همزة والهمزة عينا في على : ألى • وفي أمر : عمر ، لغة فصيحة فالعرب تقول موت زؤاف وزعاف ، وسأف وسعف • واستأديت الامر على فلان في معنى استعديته •

(٣) بعض سكان النيل الازرق يشدد الحرف الاخير من الكلمة المتصلة بالهاء فيقولون في كتابها : كتابّ وفي كتبها : كتبّ بالتضعيف وكانت سعد تضعف الحرف الاخير من الكلمة الموقوف عليها فيقولون هذا خالدّ •

(٤) اقتطاع اللفظ قبل تمامه أو الترخيم عند الرباطاب ببربر والمناصير في مثل قولهم : أعطيته الكتا (ب) وسمعت الكلا(م) وهي لغة طيء •

(٥) بعض قبائل كردفان تقول في أعطى : أنطى وهي عربية لسان سعد ابن بكر وهذيل والازد وقيس والانصار ووردت في الحديث لا مانع لما انطيت ، واليد المنطية خير من اليد السفلى وقرىء شذوذا : إنا انطيناك الكوثر •

(٦) قولنا في الاستفهام منو ومنن ومنى يستند على باب كبير في كتب النحو •

(٧) قولنا دسيت بدل دسست وصبيت المال (صببت) وقصيت الاظافر (قصصت) فصيح •

(٨) جعلنا حرف المضارعة همزة مكسورة اذا كان للغائب فنقول في يسكن ويقول امكن واقول فصيح •

(٩) التخلص من الهمزات في مثل راس وبير ولوم وتوضيت وقريت عربي لانهم يقلبون كل همزة من جنس حركة ما قبلها •

(١٠) ونحن نستعمل في عاميتنا لغة أكلوني البراغيث فنقول قالوا الناس (قال الناس) وهي لغة سخر منها النحاة والتقليديون مع أنها وردت في القرآن « وأسروا النجوى الذين ظلموا » وفي الحديث « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » وفي شعر العرب :

يلوموتني في الدين قومي وانسا ديوني في أشيـاء تكسبهم حمدا

(١١) أهل اليمن يقلبون لام التعريف ميما وقد وردت في الحديث « ليس من امبر امصيام في امسفر » امبارح •

(١٢) وأهم ظواهر العامية اهمال الاعراب وقد ذكر ان تميم وربيعة تحذف التنوين وتقف بالسكون جاء خالدْ ومررت بخالدْ وان كانت تميم تحافظ أحيانا على تنوين الفتح والظاهرة الغريبة في لهجتنا اننا احتفظنا بتنوين الفتح في مثل قولنا : كلّ شاةً معلقة من عصباتا • وفلان راجلاً زين •

(١٣) ونحن نلزم جمع المذكر السالم الياء في جميع الاحوال وهي لغة بني تميم : وكان لنا أبو حسن علي أبا برا ونحن له بنين • ونسب الى ربيعة حذف نون الرفع لغير ناصب أو جازم فتقول : أنتم تحبوا الحق •

وكل هذه الظواهر تؤيد ما يذهب اليه بعض الباحثين مثل الدكتور عبد المجيد عابدين من أن (معظم القبائل العربية التي دخلت السودان من قبائل ربيعة وجهينة) •

ولكن بالرغم من هذه المظاهر القديمة التي احتفظت بها اللغة كدليل على الاصالة فقد كان لا بد لها وقد انتقلت الى بيئة جديدة من أن تتأقلم وتتكيف

بالظروف الجديدة حتى تلبي حاجات الناس وتستقيم على ألسنتهم وقد استلزم ذلك احداث تغييرات كثيرة في النطق والمعنى • وأهم اسلوب اتبعناه في تطويع اللغة حتى تسهل على الالسن عملية الابدال اذ اننا نميل الى التخلص من الحروف الصعبة ونبدلها بغيرها ، مثل :

ذ = د : جبد : جبذ ــ جدع : جذع ــ حادق : حاذق ــ دروة : ذروة ــ (عند العرب الهيدبي : الهيذبي ــ دحداح : ذحذاح) •

د=ض: ذبح : ضبح ــ ذبان : ضبان ــ ذبل : ضبــل ــ جذل : جضل ــ ذرورة : ضريرة ــ قذف : قضف •

ث=ت: تلاتة ــ تمدة ــ شبت ــ جتة ــ حتل حتالة ــ حترب •

ج = د: دحش ــ ديش ــ دشر ــ دشوة ــ درش العيش ــ عضم دوش ــ شدر ــ شداعة •

د = ج: خجيجة ــ جدادة •

أ = ع : جأر : جعر ــ قرأ : قرع ــ فقأ : فقع ــ (العرب: أربون وعربون ــ وانفقأ وانفقع) •

م = ب: مكان : بكان ــ متين : بتين ــ منبر : بنبر ــ مسراع : بسراع ــ (العرب مكة بكة) •

وهكذا لا يكاد يفلت منا حرف دون ابدال • وقد يضطرنا دافع التخفيف ، نغير من وضع الحروف عن طريق القلب فيسهل نطق الكلمة ولدينا آلاف ، الكلمات المقلوبة :

جض : ضج ــ نجض : نضج ــ جضم : ضجم ــ دلجة : جلدة ــ جواز : اج ــ دار الشيء : راد ــ سحلية :حسل ــ خفس : خسف ــ فقه : فهق ــ ، : بت ــ أنعل : العن ــ شبعة : شعبة ــ نخنخ : خنخن ــ معلقة : ملعقة •

(والقلب معروف عنــد العرب : جبذ وجذب ــ فطس وطفس ــ قبط ،هه وقطبه) •

وقد نلجأ أحيانا الى الحذف فنقول ود ــ بت ــ مرة ــ نص ــ فد مرة :
فردمرة ــ حبابك عشرة مرحبابك أو ندغم الحروف المتشابهة فنقول: اتّ وقُتّ وكُتّ (أنت قلت كنت) • وقد تستدعي ضرورة التخفيف زيادة حرف أو اكثر فنقول طوطح بدل نوّح ولولح بدل لَوّح وطفشن الباب بدل فشه •

وقد نذهب الى أكثر من ذلك في سبيل السيرورة ورفع الحرج عن اللسان فنمزج الكلمات العديدة في كلمة واحدة وهو ما تسميه العرب بالنحت فنقول معليش بدل ما عليك شيء ــ وعشانك بدل على شأنك ــ ليشنو لأي شيء هو ــ بلاش : بلا شيء • هسع : هذه الساعة : ها الساعة ــ لسع : الى الساعة ــ الليك اولى ليك الذي لك ــ دقر ياعين صادمن عيني وعين الحساد هذا قرة عيني • كل هذه التحويرات في جسم الكلمات حدثت بالضرورة حتى تسهل اللغة على الالسن ويتم التعامل بها في يسر •

والامر أبعد من ذلك في مجال مدلولات الالفاظ ومعانيها • اذ أن اللغات كالآدميين تتأثر بعوامل البيئة وبالمناخ الاجتماعي الذي تنتقل اليه • وقد اختلف تأثر اللغة العربية في السودان باختلاف المناطق والقبائل • فقد حافظت القبائل البدوية المترحلة على كثير من الالفاظ في معانيها الاصيلة • أما القبائل المستقرة فقد تأثرت اولا بالسكان الاصليين واضطرت في كثير من الاحيان الى احداث تغييرات كبيرة في مدلولات الالفاظ ومعانيها لتلائم ظروف بيئتها الجديدة والكلمات التي كانت تدل أصلا على مفهومات بدوية عدل بها عن مدلولها الاصيل الى مدلولات جديدة تعبر عن واقع الحياة المعاش مثلا : **الدرقة** التي تدل في الاصل على الترس جعلناها تدل أيضا على حائط البيت ــ **والدقلة** التي تدل في الاصل على الشاة الضاوية الضعيفة اطلقناها على البطيخة الصغيرة ــ **والديس** الذي هو الغابة المتلبدة جعلناه شعرا ــ **والزغردة** وهي في الاصل الاصوات التي ترددها الابل في جوفها جعلناها زغاريت النساء في الافراح • **والزواعة** التي كانت تشتيت الابل وتفريقها جعلناها لكثرة الكواسة ــ وهذه **الكواسة** كانت في الاصل للبعير يمشي على ثلاث قوائم وهو معرقب ، ولاعلاقة

كبيرة بين هذا المعنى القديم والمعنى الذي نريده الآن من قولنا الكواس حقه في كرعيه ــ وفي علاجنا البادي نستعمل الخشبة وهي ضرب من (الرجيم) يمتنع فيه الانسان عن الدهون والطعام المالح وقد يتعاطى بعض الاعشاب الجافة وهي في الاصل أكل اليبيس من المرعى • ونقول الآن اتفنت في التراب واصلها من ثفنت الناقة أي ضربت بثفناتها الارض والثفنة من البعير ما يقع على الارض من أعضائه ــ ونقول ان الولد خسجان أي سيء الادب فاسده وفي الاصل خسج الثمر فسد جوفه وحمض ــ وهكذا هناك آلاف من الاستعارات نقلنا بها الالفاظ من بيئتها البدوية الى بيئتنا الحضرية • ومن الاساليب التي طوعنا بها المعاني تخصيص المدلول للكلمة التي كانت عامة والامثلة على ذلك كثيرة منها مثلا (١) **الجنفا** نخصصها للعسرا أو التي تلبس الثوب بالعكس والجنف في الاصل الجور والميل عن العدل اطلاقا (٢) ونخص التشليق بالعين وشلق في الاصل شق أو خرق طولا دون تخصيص (٣) ونسمي الصدأ بالصقر (حديد مصقّر) والصقر اختلاط لون الطائر خضرته أو سواده بحمرة أو صفرة (٤) ونطلق لفظة **الشخت** على الغشاء من اللحم وهي في الاصل ضمور عن غير هزال (٥) وأطلقنا اسم **الضمير** للخصر النحيل وهي من الضمور أي النحول **والمناغمة** في الاصل الكلام الرقيق ولكننا حددناها بالمناداة ••• وهكذا •

وهناك ألفاظ بعضها غامض نستعملها في حياتنا اليومية بالتعود ولا ندري لها معنى محددا وأبرز ما يظهر ذلك في الالفاظ المبهمة التي ينطق بها الصبية في ألعابهم فمن ذلك قول الصبي وقد عصبت عيناه وحمل في يده العصا يبحث بها عن أنداده : أنا ما بشوف بعمط الصوف « وعمت الصوف » جملة قاموسية وتعني لفه مستديرا ليجعل في اليد فيغزل ، ومعنى ذلك أننا ورثنا هذه اللعبة بألفاظها المحددة منذ القدم ولكن المعنى تنوسي بمرور الزمن وفقدت الكلمات دلالتها الاجتماعية ولكنها بقيت على الالسن كدليل على المصدر القديم • ومثل ذلك قولنا حجيتك ما بجيتك « وبجيتك » تعني طعنتك (ومما يؤكد هذا المعنى رد الآخر : خيرا جانا وجاك) • وندعو على الآخر بقولنا يديك الطلا ووجع

الكلا (الطلا القطران) أو نقول له : يديك الكود ووجع اللغود والكودة هو ما جمعت من تراب : او نقول له يخجك برد الحجاج « والريح الخجوج » الشديدة العنيفه • ونقول لصديق ادينا حركة نقصد بعض المال (والحركة) في الاصل مائة ناقة • ومن الالفاظ التاريخية الهامة التي دخلت لهجتنا وتنوسي أصلها لفظة الحرامي أي اللص ولا دخل لها بالحرام وانما هي منسوبة الى قبيلة بني حرام التي دخلت مصر أيام الفتح العربي ثم انحطت وتلصصت فأصبح كل من يسرق يسمى حرامي • ومثل ذلك أيضا لفظة الحنفية في العهود المتأخرة ماسورة المياه والكلمة في الاصل كانت صنبور الحنفية نسبة لاصحاب المذهب الحنفي وكانوا يتحرجون في طهارة الماء ويلحون على عدم جواز الوضوء من ماء لامسته الايدي ولذلك ومبالغة منهم في حفظ الماء طاهرا صنعوا الصنابير في المساجد للوضوء • وبمرور الزمن سقطت كلمة صنبور المضافة الى الحنفية وبقيت كلمة الحنفية دالة على الصنبور أو الماسورة •

وكما احتفظت لهجتنا بخصائص لغوية لبعض اللهجات العربية التي تلاشت الآن كذلك احتفظت ببعض الصيغ التي ضاعت من اللغة الام مثل لفظة «سجم» التي تعني السواد وتقرن دائما بالرماد ، ففي الفصحى نجد لفظتي سحم وسخم بنفس المعنى أي السواد ولكننا لا نعثر على سجم ، وما دمنا نستعمل الكلمة في نفس المعنى المنصوص عليه في الفصحى فالارجح انها كانت لهجة خاصة لم تدون في كتب اللغة وحفظتها عاميتنا • ومن جانب آخر نعثر على صيغ وألفاظ في لهجتنا مستنبطة من مصادر عربية قديمة ضاعت الآن من حياتنا ولكننا احتفظنا بهذه الالفاظ المنتزعة منها ومن ذلك لفظة تحنفش (ولم أجدها في المعاجم) أي انتفش من الغضب وقد أخذناها من الحنفش وهي أفعى عظيمة ضخمة الرأس رقيقة العنق خبيثة اذا غضبت انتفخ وريدها (ونحن لا نعرف الآن هذه الحية في لهجتنا) • ونستعمل النجامة في الحش وقل ان يخطر ببالنا انها مستنبطة من النجم وهو ما طلع من النبات على غير سوق وأخذنا منها الفعل نجمه طيب (والنجامة بهذا المعنى سودانية) • وأخرجنا البعاتي من فكرة

البعث ولا وجود له في العربية • ومن الالفاظ التي ضاع أصلها لفظة الشرغرغ (اناء القهوة) ولعله اخذ من الطائر الذي يحمل نفس الاسم عند العرب ويشبهه ونقول للسحابة المسطرة الشختور وهي في الاصل سفينة صغيرة بشراع واحد فكأننا كنا نعرف هذا المعنى قديما ثم شبهنا السحابة المسطرة بهذه السفينة وبمرور الزمن أصبحت الفكرة المستعارة هي الحقيقة وضاع الاصل •

وعن طريق العرب تأثرنا بالفرس واليونان والسريان فانتقلت الينا كثير من الالفاظ الحضرية التي أخذها العرب عنهم • فمن اللغة الفارسية وصلتنا ألفاظ الاطعمة والملابس وأسماء الادوات المختلفة فمن ذلك : البالوظة والباذنجان والكعك والخشاف والجزر واللارنجة والزنجبيل والتنباك والنشادر ومن أسماء الادوات الطشت والابريق والبرواز والجزلان والجنزير والدبارة والشوال والبردعة والسيخ والكتان ومن أسماء الملابس : القفطان والسروال والبفتة والجوخ والديباج والبشكير والشراب (بالاضافة الى ألفاظ مثل البولاد والسادة والبهلوان والجربندية والبخت والبندر والنيلة والسرايا وكل ألفاظ الطاولة يك ١ ــ دو ٢ ــ سى ٣ ــ جهار ٤ ــ بيش ٥ ــ شيش ٦ ــ يك كبير ١و٢ ــ دبارة ٢ر٢ ــ دوسه ٢ر٣ ــ درجي جهارين ــ دبش ٢ر٥ ــ دوش ٢ر٦ •

ويتمثل التيار اليوناني القديم في ألفاظ كثيرة نستعمل منها اليوم في أسماء الاطعمة : الملوخيا والبامية والترمس والكرنب والكراويا والبقدونس ومن الادوات الطاجن والكبسونة والكير والمغنطيس ومن الامراض المنخوليا والبرقان بالاضافة الى ألفاظ مثل البارود والاصطبل والقيراط والمصطكي والمطرون والقانون وغيرها •

وكما اتسعت العامية في الماضي وحملت في جوفها معظم التيارات الحضارية التي مرت بها البلاد فاكتسبت بذلك خصوبة ومقدرة كذلك تأثرت بالتيارات الحديثة فقد خضعت البلاد في القرن التاسع عشر للحكم التركي المباشرفدخلت

الينا كثير من الاصطلاحات التركية بالاضافة الى كثير من الالفاظ والتعابير التي كانت مستعملة في الشام ومصر والمغرب • وحضارة الاتراك كانت حضارة عسكرية وادارية فورثنا عنها كثيرا من المصطلحات العسكرية والادارية التي تطلبها ونسع الحكم التركي في البلاد : فكل الالفاظ التي تبدأ أو تنتهي بالمقطع باش تركية (معناه كبير) باشكاتب ، يوزباشي ، بكباشي ، حكيمباشي وأيضا الالفاظ التي تنتهي بخانة (ومعناها مكان) : شفخانة ، اجزخانة ، ادبخانة ، وأيضا كل الالفاظ التي تنتهي بالمقطع دار (صاحب) حكمدار بيرقدار ، دفتر دار الى جانب الالفاظ التي تنتهي بالمقطع جي (للنسبة) تمرجي ، سفرجي، اجزجي ، عربجي ، وقد تأثرنا في طعامنا بالاتراك فعرفنا منهم الكفتة والقاورمة والطرشي والبقلاوة واليخني والسجوك والبسبوسة والبسطرمة والتنكة وكلها ألفاظ تركية ومنهم دخلت الينا كثير من الالفاظ المعهودة مثل عفارم ودغري وبرضو وخردة وأوضة وشنطة ، وبهية ودشمان (العدو) وعشرات غيرها من الالفاظ التي أصبحت جزءا من تراثنا بالرغم من ذهاب الاتراك •

كل هذه التيارات امتزجت وتداخلت في اللهجة بحيث اصبح من الصعب ارجاعها لاصولها الا بعد جهد جهيد وقد نجد أحيانا أكثر من عنصر تمتزج في اللفظة الواحدة ، مثل معظم الكلمات التي تنتهي بالمقطع آب ، فهذا المقطع بيجاوي يدل على النسبة أو المفعولية وكثيرا ما تكون الكلمة الرئيسية عربية مثل لفظ القرباب الذي تلبسه النساء فلفظة قرب لفظة عربية فصيحة معناها الخصر فكأن الكلمة تعني الشيء الذي يخص الخاصرة وهو الثوب الذي يلف حولها • وعلى ضوء هذا يفسر بعض الباحثين لفظة أرباب التي استعملت بكثرة في زمن الفونج بمعنى « عربي » • وقد تكون الكلمة الرئيسية نوبية وتقترن بهذا المقطع التبداوي مثل لفظة ويكاب (لأن الويكة نوبية الاصل) • ويتجلى هذا الاثر بشكل أوضح في صفة النسبة فنحن عندما ننسب فردا الى عبد الله لا نقول عبد اللاوي (كما يفعل أهل مصر) وانما نقول عبد اللابي وخوجلابي وفتيحابي وقد طبع هذا الاثر لهجتنا حتى أصبح أمرا مألوفا ولا نفكر كثيرا في

عدم عروبته مع انه في الواقع ليس بعربي • وقد تأثرنا من ناحية التركيب أيضا بالاتراك حين نعبر عن النسبة بالمقطع جي حتى في كلماتنا العادية التي لم نرثها عن الاتراك فنقول مثلا لعبنجي (بدل لعبي) ولخنجي وسكرجي وخدرجي • ومن المقاطع غير العربية التي نستعين بها في التعبير عن الافراد وأحيانا عن التصغير المقطع آية : فنقول ونقصد المفرد غناية واندايه وخرتاية (وأصلها خريطة) ، أو نقول للتصغير : نسلة : نسلاية ، وحبة : حباية ، لحسة : لحساية • ودراسة هذه الظواهر النحوية للهجتنا العامية تحتاج الى مجهودات كبيرة حتى يكشف النقاب عن أسرارها الخفية •

ودخلنا في القرن العشرين وخضعت البلاد للانجليز وتعرضنا للتيارات الغربية التي هبت علينا من كل صوب وتركت آثارها الواضحة في لهجتنا • وكثير من هذه الآثار تأقلم أو تعرب حتى كدنا لا نصدق انه اجنبي فمن اللغة لايطالية وصلتنا البادورة ، البطاطس ، البسلة ، الفصولية ، البرنيطة، بطارية، وليصة ، البالة ، الاسكلة ، السقالة ، الموضة ، الطاولة ، الكروسة ، كرتينة ، كمبيالة ، لوكاندة ، وابور ، وردية ، اونطة وقسرة القطر Camera والفاتورة وعن لفرنسية دش ، تندة ، دركسون ، جرسون ، كرتون ، كبوت • وهناك آلاف ن الالفاظ درجت على ألسنتنا وتقبلناها كجزء من تراثنا حتى كدنا قل أن نفرق ين القرش Groschen وهي الكلمة الاصيلة في الالمانية والنسرة Number لايطالية والاونطا Aventa ايطالية أو نظن الفتيل هو Phial والسرويس Service الصلصة Sauce والبدرة Powder والباسطة Paste والميز Mess والورشة Workshop والمكنة Machine والبرندة Veranda والقراش Garage والترلة Trailer والانجيرة (الكسرة) من اللفظة الطليانية Manjari وتعني طعام ولعلها خلت الينا عن طريق الحبشة ايام الحرب حيث أصبحت الكسرة تباع في رعة الطريق •

أردت ان أخرج من هذه الدراسة السريعة للفئة العامية في منطقة الخرطوم وما جاورها بفكرة عامة مؤداها ان لغتنا حيث وجدت وليدة ظروف تاريخيـة واجتماعية متشابكة وبالتالي فهي على قدر عظيم من التعقيد • واذا كانت اللغة انعكاسا صادقا للحياة فاننا نخلص من ذلك الى أن حياتنا وبالتالي شخصيتنا على قدر من التعقيد كبير بحيث لا يجدي فيها التعميم واطلاق الاحكام • هل نحن عرب ؟ هل نحن افريقيون ؟ هل نحن بين بين ؟

ان الاطار العام للهجتنا عربي فقد احتفظنا بكثير من الالفاظ والعـادات العربية ولكننا كما رأينا قد طوعنا كثيرا من الالفاظ والمعاني العربية القديمـة لتلائم ظروف حياتنا وبيئتنا ونستطيع ان نقول ان السمة الغالبة هي العربية او العربية المتأقلمة •• ولكننا ورثنا بجانب ذلك قدرا كبيرا من آثار الحضارات غير العربية والتي سبقت العرب ، وامتزجت كل هذه التيارات والعناصر بحيث أصبح من الصعب اطلاق أي اسم آخر على النتاج النهائي غير انه سوداني : وأعني بذلك ان لغتنا وشخصيتنا هي وليدة هذه البيئة التي صهرت في بوتقة الزمن كل التيارات الحضارية والانسانية التي تعاقبت عليها فأخرجت لنا هذه اللغة السودانية التي تعكس لنا الحياة السودانية والشخصية السودانية • ان أي مظهر من مظاهر حياتنا يعكس ظاهرة لتمازج وائتلاف العناصر هذه ، خذ مثلا مظهرا واحدا من مظاهر النشاط الاجتماعي في حياتنا العرس : سنجدنفس الشريط الذي تحدثنا عنه في مجال اللغة عامة يتكرر : فالعقد والحنة والضريرة والبطان مثلا تدل علـى التيار العربي والجرتق والعلجة والسومار والبرش والسوميت والسباتة تدل على التيار النوبي والشبال والسكسك تدل على التيار التبداوي • وقد تدل الداوكة على أصل افريقي وهكذا وكل هذه الآثار المتنافرة قد امتزجت في وحدة عضوية لا تتجزأ هي العرس • وقد نلحظ هنا كما لاحظنا في اللغة عموما غلبة التيار العربي ولكننا لا نستطيع أن نغفل مـن حسابنا أثر التيارات الاخرى في حياتنا وفي تكوين شخصيتنا اذ أن اللغة ليست مجرد كلمات تذهب في الهواء بل هي مرآة صادقة لحياة الناس وعقولهم •

الشخصية اللغوية

للهجة العامية السودانية

اللغة ــ أي لغة ــ جماع تجربة البشر في حدود الزمان والمكان ، وهي من هذه الناحية نتاج ظروف اجتماعية وجغرافية وتاريخية محددة تطبعها بطابعها الخاص وتسمها بميسم التفرد الذي يميزها عن غيرها من اللغات . وانطلاقا من ذلك نستطيع ان نقول ان لكل لغة شخصية أو ذاتية خاصة بها تتمثل في الطرق المختلفة التي تتولد بها الكلمات وتتم بمقتضاها التراكيب وتتنوع من خصوبتها وثرائها الاساليب واذا حاولنا ان تتبين ملامح هذه الشخصية اللغوية في اللهجة العامية السائدة في السودان ــ مع اختلافاتها الطفيفة في الاقاليم المختلفة ــ فاننا لا بد من أن تنتبه الى أن لهجتنا هذهمشتقة في معظم مفرداتها وتراكيبها من اللغة العربية وسماتها من هذه الناحية سمات اللغة الام . ولكن القول بأن العامية فرع من الفصحى ــ وان صح في بعض الجوانب ــ لا يقبل على اطلاقه ولا بد فيه من الهوامش والحواشي والذيول . فهناك احتمال النمو المستقل للهجات العامية .. بمعنى ان تكون اللهجة قد شقت طريقها منذ القدم بعيدا عن اللغة الام وتأثرت بظروف مغايرة لما كانعليه الحال في موطنها الاصيل . وحتى هذا التقسيم الى لغة أم ولهجات متفرعة فيه غير قليل من التجاوز والتعميم لاننا لا ندري على وجه التحديد ما هي اللغة الام خاصة في العربية . أهي اللغة الادبية النموذجية التي يتحدث الناس عنها كثيرا ويسرفون في الحديث حين يدرسون الادب الجاهلي ؟ أم هي اللغة القاموسية التي تقدمها لنا الموسوعات اللغوية وهي فيما يبدو خليط غريب من اللهجات لا تستقيم في كثير من جوانبها مع ما تواضع عليه علماء اللغة في القرن

الثاني الهجري من اقتصارهم في الاستشهاد على تلك القبائل الست أو السبع التي شهدوا لها بالفصاحة دون سائر العرب ؟ والواقع ان ما حدث في ذلك الماضي السحيق عظيم الفائدة في القاء الضوء على ما يمكن ان يكون قد حدث في أمر العاميات جميعا . لان ما يمكن ان يسمى باللغة الام أو اللغة الفصحى أو اللغة النموذجية قد حدث تحت ظروف معينة فرضت على القبائل العربية ضرورة الالتقاء في مكان واحد هو السوق ـ حيث كان في أنحاء شبه الجزيرة للتجارة والميرة ـ ، أو هو الكعبة للحج والنسك، فاحتاجوا للتفاهم وكانت قريش أكثر القبائل استقرارا وتجارة ومالا وبالتالي حضارة خاصة ورحلاتها في أطراف الجزيرة قد أتاحت لها أعظم الفرص لاثراء لغتها وضم ما تراه مفيدا من لهجات القبائل الاخرى التي تتعامل معها .. وكانت قريش النواة التي يلتف العرب حولها تجارة وحجا ومن ثم أصبحت لغتها العمود الفقري للهيكل اللغوي الذي يتم عن طريقة التفاهم بين مختلف القبائل .. وبالطبع ما كان ذلك ليحدث لو أن الخلافات بين اللهجات العربية كانت جوهرية . والشاهد في كل ذلك ان الهيكل اللغوي الذي تم عن طريق التقاء العناصر المختلفة واحتكاكها في الاسواق والمحافل خلال القرون نجم عنه ما سمي باللغة النموذجية التي يفهمها المثقفون من العرب ، وهي من هذه الناحية وليدة ظروف خاصة وبيئة خاصة ، ولكنها ـ لهذا السبب ـ لم تلغ اللهجات الخاصة للقبائل . فقد كانت هذه تتفاهم بلهجاتها الخاصة حين ترجع الى ديارها من مواسم الحج ومحافل التجارة.

وهاجرت المجموعات العربية الى خارج جزيرة العرب ـ قبل الاسلام في أعداد ضئيلة وبعده في موجات كاسحة ـ وكانت تحمل معها بالطبع تراثها اللغوي الموروث والمكتسب . ولكن الانسان ابن البيئة وهو في ذلك خاضع لما تمليه عليه الظروف . وبانتقال العرب الى هذه الاراضي الجديدة تغيرت البيئة وتغيرت الظروف وكل ذلك يفرض وجوده على الكيان العقلي واللغوي شكلا وموضوعا . وأهم مايمكن ان يلاحظ في هذا المجال هو ان اللغة النموذجية التي فرضتها الظروف على بعض العرب بفعل عوامل اجتماعية وتاريخية محددة

وهي من هذه الناحية مصطنعة خاصة اذا نظرنا اليها خارج اطارها الاجتماعي التاريخي ــ هي أول ما يتأثر بتغير البيئة • لقد انطلقت القبائل مجتمعة ومتفرقة تحمل لهجاتها معها وهذه اللهجات هي العنصر الاكثر ثباتا ودواما لاتصالها بحياة الناس في كدحهم اليومي ، وحكمت عليها الظروف ان تلتقي دون سابق تخطيط في بقع معينة من الارض : في شمال افريقيا . في مصر ، في السودان وفي غيرها من بلاد العرب وحدثت تشكيلات جديدة في خريطة التوزع القبلي • والتقت قبائل ما كانت تجمع بينها من قبل رابطة • وافترقت أخرى كانت متصلة ببعضها أوثق اتصال • وتلفتت القبائل في بيئاتها الجديدة فاذا بكل مظهر للحياة يوحي بانفصام روابط الماضي ويدعو الى الابتكار والاجتهاد في مجالات الحياة المختلفة •• فليست هناك أسواق للتجارة ومحافل للتفاهم وتبادل الافكار ، وليست هناك كعبة يأتون اليها من كل فج عميق ، وفوق كل ذلك ليست هناك قريش تجمع شمل هؤلاء القوم اللغوي بلغتها تلك النموذجية المصطنعة • وكان ما ليس منه بد • وانكفأ القوم ــ على اختلاف قبائلهم ــ في الاراضي الجديدة على أنفسهم يصطرعون ويلتحمون حينا ويلتقون في وئام ومودة حينا واستقر منهم من استقر في مواطن الحضر وتبدى منهم من تبدى في الفيافي والقفار واحتاجوا الى أداة مشتركة تربط بينهم دون أن يصدموا في كل لحظة بتنافر الالسنة واختلاف التراكيب • وكما حدث الاتفاق والتواضع اللاشعوري من قبل وانتهى في داخل الجزيرة الى وضع لغوي مشترك مريح حدث الامر من جديد في الاقاليم الجديدة التي استقر فيها العرب • وكان ان ظهرت العاميات العربية كل عامية تختلف عن عامية المنطقة الاخرى باختلاف نوعية القبائل التي جمعت بينها الظروف في المكان والزمان وباختلاف البيئة والظروف التاريخية التي تعرضت لها وكانت لغة قريش واحدة فقط من عشرات اللغات او اللهجات التي دخلت في البوتقة الجديدة لتنصهر مع غيرها وتخرج لنا ما نعرفه الآن من لهجات العالم العربي •

واذا أخذنا السودان مثالا لعملية التلاقح والانصهار اللغوي هذه فاننا

نلاحظ شبها آخر بالصورة اللغوية القديمة في شبه الجزيرة العربية ، فقد تكونت في الماضي وتحت ظروف حضارية معينة لغة تجمع بين المجموعات المتنافرة ولكنها كما رأينا لم تلغ اللهجات الخاصة للقبائل ، واذا قارنا ذلك بما نلاحظه اليوم في السودان نرى الصورة اللغوية شبيهة بتلك القديمة . لقد أصبح النيل — وهو عمود الحياة الفقري ومقر الحضارة والحياة المستقرة — الكعبة التي يفد اليها العرب مهما ضربوا بابلهم وحيواناتهم في الصحراء شرقا وغربا وجنوبا وشمالا . ومعنى ذلك ان القبائل العربية التي استقرت على ضفاف النيل اصبحت القاسم المشترك بين بقية القبائل العربية التي واصلت حياتها القديمة في الصحراء . ولعل ذلك أيضا لم يحدث بطريقة عشوائية بل كان استجابة لازمة لوضع هذه القبائل قبل هجرتها . فقد تكون القبائل التي استقرت على النيل واصطنعت الزراعة حرفة قد كانت في ماضيها أيضامستقرة وبالتالي فقد كانت أكثر استعدادا للاخذ بأطراف التحضر والتمدن منأخواتها المتبدية لان الطبع يغلبالتطبع والبدو في كل زمان ومكان يأنفون من وخم الحاضرة وينفرون من أوضار المدينة . وكانت النتيجة لذلك أن أصبحنا نرى ظاهرتين لغويتين في السودان الظاهرة الاولى هي اللغة العامية النيلية التي تتكلمها القبائل المستقرة التي تعيش على النيل والظاهرة الثانية هي اللغات العامية التي تتكلم بها القبائل المتبدية والقبائل شبه المتبدية كالشكرية في البطانة والكبابيش وغيرهم من قبائل غرب السودان . فاللغة العامية النيلية المنتشرة في وسط السودان قد أصبحت بحكم اتصال القبائل العربية ببعضها والتقائها على ضفاف النيل للتجارة والتعليم وما اليه هي اللغة المشتركة وتضم من هذه الناحية أمشاجا مختلفة من اللهجات العربية القديمة بالاضافة الى عناصر أخرى . وبعيدا عن النيل احتفظ اصحاب كل منطقة بطابعهم اللغوي الخاص ومن هنا رأينا في لهجة الكبابيش مثلا هذا التميز الواضح فيالمفردات والصوت وأحيانا في التراكيب وقل مثل ذلك في البقارة والشكرية وغيرهم من المجموعات التي تعيش في أطراف المنطقة النيلية . ولكننا ونحن نتحدث

عن هذه اللهجات القبلية يجب أن تنتبه الى أن هذه القبائل المتبدية ذاتها خليط من مجموعات مختلفة وبالتالي فلهجاتها أيضا نتيجة حتمية لاختلاطها ببعضها بعضا وما يمكن أن نسميه بلهجة الكبابيش مثلا هو في الواقع النتاج النهائي لعملية تلاقح وصهر بين مجموعات بدوية عاشت في نفس المنطقة • وكل ما قل اختلاط القبائل العربية بالسكان الاصليين كلما كانت لغتهم في مجموعها أقرب الى اللهجات العربية القديمة ولهذا السبب عينه نلاحظ التفاوت في نسبة الالفاظ الدخيلة من غير العربية في لهجات هذه المجموعات خارج الحزام النيلي • وقد يلاحظ المرء في هذا المجال تأثر الشكرية وغيرهم من قبائل الشرق بلهجات البجة المختلفة وورود كثير من الالفاظ التبداوية في صلب اللهجة العربية•

واذا تناولنا هذه اللهجة أو اللهجات النيلية التي تشكل في مجموعها أداة التفاهم المشتركة في شمال ووسط السودان فاننا نلحظ فيها تفاوتا عظيم الاهمية لما ينضوي تحته من حقائق بشرية وسكانية تلقي بعض الضوء على طبيعة التكوين القبلي والحضاري ومدى اختلاط العرب بغيرهم من سكان البلاد الاصليين • فاذا تتبعنا النيل من الشمال متجهين جنوبا نجد أن اللغة النوبية في أقصى الشمال ما تزال باقية بلهجاتها الاربع الكنزية والسكوتية والمحسية والدنقلاوية وان كان هناك أثر للعربية فهو أمر يتم عن طريق التعليم والاختلاط والنزوح • المهم ان لغة الام ولغة التفاهم أيضا هي النوبية في احدى شعبها الاربع • وبقاء هذه اللغة حتى عصرنا الحاضر أمر جدير بالبحث لانه يعني أشياء كثيرة تتعلق بهجرة العرب واقامتهم اذ أن الشمال يعتبر من أهم المنافذ التي دخل عن طريقها العرب من مصر الى السودان • وصلة العرب بهذه الاصقاع قديمة جدا فقد ذكرت مصادر التاريخ ان معاهدة البقط التي عقدها عبد الله بن أبي سرح مع النوبة في مملكة المقرة بعد أن حطم دنقلا العجوز أتاحت للعرب المسلمين الحق في بناء مسجد والسماح لهم بعبور الاراضي النوبية والتجارة فيها • والى الشمال من ذلك كانت تقوم مملكة المريس النوبية في الجانب المصري واتصل بها العرب خاصة بنو كنز الدولة منذ نهاية القرن

الثاني عشر الميلادي وتغلبوا عليها في القرن الرابع عشر • ولكن اللغة التي تخلفت عن كل ذلك ليست بعربية وان أطلق عليها اسم عربي • فان اللغة الكنزية نسبة الى كنز الدولة لغة نوبية صميمة وهي أقرب لحمة ونسبا الى اللغة الدنقلاوية منها الى لغتي المحس والسكوت وذلك يرجع الى عوامل جغرافية وتجارية اذ ان الطريق التجاري كان يربط بين دنقلا والمريس ويتجافى عن أرض الحجر المجدبة المليئة بالشلالات التي يقيم فيها المحس والسكوت ولعل ارتباط اسم العرب منذ القدم بدنقلا والمريس دون سائر المناطق التي تقع بينهما يؤكد هذه الحقيقة أيضا • وعلى الرغم من كل ذلك احتفظ أهالي هذه المناطق جميعا بلغاتهم الخاصة وان اتخذوا الاسلام دينا وهذا أمر لايفسر الا بأحد أمرين أولهما أن يكون عدد العرب الذين استقروا في هذه المناطق قليلا جدا فذابوا في السكان الاصليين ولم يبق من آثارهم الا اسم الاسرة المالكة الكنزية التي أطلق اسمها على اللغة النوبية في المنطقة • وثانيهما أن يكون العرب لسبب أو لآخر قد مروا على كل هذه المناطق مرور الكرام واتخذوها معبرا لما وراءها من بلاد ولذلك لم يدخلوا مع سكان المنطقة في صراع حضاري يترك آثارا بارزة في التكوين اللغوي لهذه المجموعات وسواء أكان السبب هذا أو ذاك أو الاثنين معا فان هذه المناطق الشمالية من النيل من وادي حلفا الى منطقة الدناقلة قد احتفظت بأدواتها اللغوية الخاصة وان دخلتها بعض المفردات العربية خاصة الدينية الاسلامية •

وعندما ننتقل الى ديار الشايقية ندخل في منطقة الحزام اللغوي الذي يتخذ العربية في صورها المختلفة لغة أم • فان الشايقية ليست لهم لغة أخرى غير العربية مما يعبرون عنه بالرطانة ومعنى ذلك أن النفوذ العربي هنا كان قويا مما نجم عنه أحد أمرين اما القضاء على السكان الاصليين أو اماتة لغتهم النوبية واحلال العربية محلها • ومثل هذا الكلام ينطبق على المجموعات القبلية التي تمتد حتى ملتقى نهر عطبرة على النيل من رباطاب ومناصير وميرفاب وغيرهم• والذي يسترعي النظر في لهجتي الشايقية والرباطاب ــ وخاصة في لهجة

الشايقية ــ وضوح ظواهر مميزة تطبعها بطابع خاص يتمثل في الحركات الصوتية وفي الاداء كوضوح الامالة بالياء في أواخر بعض الكلمات وفي احتفاظها بقدر كبير من الالفاظ النوبية الاصيلة وكل ذلك يجعل من اللهجة الشايقية مجالا مفيدا للبحث عن المؤثرات الثقافية والحضارية التي تعرضت لها المنطقة •

وتميز الشايقية بكل هذه الظواهر أمر هام ان دل على شيء فانما يدل على أن هناك عناصر محددة ــ قبلية وتاريخية واجتماعية ــ قد لعبت دورها وطبعت المجموعات الشايقية بهذه السمات المشتركة التي تبرزها لنا لهجتهم خاصة وليست بينهم وبين اخوانهم من الرباطاب وغيرهم من حدود مستعصية تجعل انتقال هذه المؤثرات اليهم أمرا مستحيلا • ومثل ذلك يقال عن الرباطاب واخوتهم المناصير الى بربر حيث تتميز اللهجة وتبرز فيها ظواهر أخرى صوتية وتركيبية مع الاحتفاظ بقدر كبير من الالفاظ النوبية والملاحظ هنا ظاهرة اختزال اواخر الكلمات مما يعرف بالترخيم وهو أمر معروف في العربية ، وهذا كله يجعل من هذه المجموعات وحدات خاضعة لعوامل محددة أكسبتها هذه الصفات دون غيرها من جيرانها شمالا وجنوبا وهذا التميز الذي يبرز واضحا في هذه المجموعات النيلية سواء أكان في ديار الشايقية أو في ديار الرباطاب وغيرها يثير الكثير من التساؤل خاصة اذا قارنا ذلك بالوضع اللغوي الذي يسود المناطق الوسطى من النيل حيث تجري في صلب اللهجة ــ مع اختلافات طفيفة محلية هنا وهناك ــ تيارات متماثلة ان في طريق الاداء الصوتي او التركيبي ، هل يعني ذلك ان القبائل العربية التي أقامت في هذه الديار قد انكفأت على نفسها ولم تتصل بغيرها من المجموعات الامر الذي طبع هذه المناطق بهذه الميزات اللغوية الواضحة ؟ أم أن لهجة من هذه اللهجات كانت تمثل غلبة قبيل بعينه من قبائل العرب فرضت سيطرتها على المنطقة واستبدت بها خاصة وقد كانت كل هذه المناطق على النيل ممالك منفصلة تنتظم مجرى النيل كحبات العقد ، ام ان قيامها في منطقة مملكة المقرة النوبية طبعها بطابع خاص ميزها

عن المجموعات التي تقع جنوبها في منطقة مملكة علوة التي امتدت حتى الابواب بالقرب من شندي ؟ أيا كان الوضع فان تفرد هذه المجموعات الشمالية بهذه الميزات اللغوية يدل في عمومه على ضرب من العزلة عن بقية المجموعات مما أتاح الفرصة لهذه الميزات اللغوية ان تترسب وتتخذ الشكل الذي نراهاعليه الآن .

أما البوتقة الكبرى التي تم فيها الاختلاط والصراع والامتزاج على أبعد مداه ، فهي المنطقة الوسطى من النيل التي تمتد من بربر وتنتظم قدرا كبيرا من منطقة الجزيرة ، ان الاراضي هنا أكثر اتساعا وأعظم فائدة ويمثل حوض النيل فيها قاعدة ثابتة ترتكز عليها القبائل المتبدية في شرق النيل وفي غربه . ان النيل الذي كان يشق الصخر والصحراء الى الشمال ويلمع كالسيف وسط الظلام قد تغيرت طبيعته هنا بعض الشيء بتغير المناخ والظروف الطبيعية ، شريط النيل في الشمال هو عصب الحياة الوحيد وتقوم على جانبيه كل مظاهرها وما عداه عدم في عدم ، فليست هناك أمطار تسمح بسكنى العرب الرحل الى شرق أو غرب ومن هنا كانت الحياة منحصرة على النيل ولزم كل قوم موطنهم وقل الاختلاط بينهم وبين غيرهم خاصة والارض محدودة وخيرها لا يتعدى ساكنيها ولعل ذلك كله سر احتفاظ المجموعات النوبية في أقصى الشمال بلغاتها وسر احتفاظ المجموعات التي تأثرت بالعرب فذهبت لغتها الاصلية واتخذت العربية لسانا بمميزات خاصة لحظناها في الشايقية وغيرهم من المجموعات الشمالية ، أما في هذه المنطقة الوسطى فان النيل وان كان هو العمود الفقري للحياة لكنه ليس وسيلة البقاء الوحيدة ، فان المطر يفتح آفاقا واسعة للحياة في الاراضي الواقعة الى شرقه وغربه ، ومن هنا اكتظ شرق النيل في منطقة البطانة ونهر عطبرة بالقبائل الرعوية وشبه الرعوية التي تتخذ الزراعة المطرية سببا من أسباب العيش ، ومن هنا اكتظ غرب النيل في منطقة الوسط هذه بألوان من القبائل نعرفها الآن في كردفان ودارفور استقر بعضها في المدن واتخذ الزراعة المطرية اسلوبا وما يزال بعضها مترحلا طلبا للماء والكلأ ، اذن هناك حزام عريض يمتد من شمال ملتقى نهر عطبرة بالنيل الى مشارف الجنوب في

نطقة الجزيرة حيث تلتقي السافنا بالغابات الاستوائية ، وهذا الحزام يضم
ساحات الشاسعة المطرية شرق النيل وغربه •

الوضع اذن شبيه بطائر ضخم جسمه وقلبه في النيل ويستقل بجناحين
رين في شرق وغرب ، لم يعد شريط النيل منكفئا على نفسه مستقلا بسكانه
ما هو الحال في الشمال بل أصبح قاعدة عريضة تلتقي عندها كل هذه المجموعات
ضخمة في الشرق وفي الغرب ومن هنا كان خطر هذه المنطقة في حياة البلاد
سياسية والاجتماعية فمن التقاء هذه العناصر وامتزاجها بالسكان الاصليين
جت كل التحولات الكبيرة التي طبعت المنطقة بطابعها السياسي والثقافي
ملكة الفونج قامت في جنوب هذه المنطقة وسلطنة العبدلاب ومن تبعهم من
لوك والمكوك قامت في وسطها وشمالها ، وبما ان تفاعل كل هذه العناصر كان
يد المدى ويتركز في منطقة محدودة هي ضفاف النيل فان اللهجة التي نجمت
ن ذلك والتي يتحدث بها الناس من منطقة الجعليين في مقرن العطبرة الى
جزاء كبيرة من الجزيرة تتسم بسمات محددة تشترك فيها كل المجموعات التي
سكن هذه المناطق مع اختلافات طفيفة تمليها عناصر البيئة والحياة الاجتماعية
من هنا تحدثت هذه المنطقة النيلية الوسطى بلهجة تكاد تكون واحدة مع
ختلاف القبائل التي سكنتها والتي ما تزال تحتفظ حتى اليوم بأسمائها المعهودة
بينا في حين احتفظت المجموعات الاخرى في المناطق الشمالية والشرقية والغربية
بهجاتها المتميزة سواء عند الشايقية او الرباطاب في الشمال او الشكرية ورفاعة
في الشرق او الكبابيش والبقارة وقبائل غرب السودان الاخرى في الغرب ،
الانسان حين يتحدث عن اختلاف اللهجات سواء أكان ذلك على النيل أو بعيدا
نه فانه يتحدث عن كل ذلك حديثا نسبيا ويسترشد في ذلك بالوضع اللغوي
ذي كان يسود شبه جزيرة العرب في الماضي والذي قلنا انه يشبه الى حد كبير
وضع القائم في السودان ، فان كل العرب ماعدا أقاصي اليمن في قولة أبي
مرو الشهيرة — كانت تتكلم اللسان العربي والخلافات بينها في ذلك كانت
شكلية كما ظهر ذلك في القراءات القرآنية وفي كتب النحو والغريب التي ركزت

على اختلافات لغات غرب الجزيرة في الحجاز ونجد ولغات شرق الجزيرة التي تمثلها تميم ، وكذلك الامر في السودان فان جميع هذه المجموعات التي تتخذ العربية لسانا تتفق في قدر كبير من حصيلتها اللغوية وتستطيع التفاهم مع بعضها نسبة للاصل اللغوي المشترك منذ القدم أولا ، ولالتقائهم جميعا في اطار الديار السودانية مما جعل التأثر والتأثير أنفذ مفعولا ، ومما يدلل على أهمية هذا العامل الاخير انتشار بعض الظواهر اللغوية التي يظن ان اصلها غير عربي في معظم هذه اللهجات السودانية سواء أكان ذلك في الشمال أو الشرق او الغرب او الوسط : في الحاضرة والبادية مما يؤكد فعالية حركة التأثر في جميع الاطراف المعنية ، ولعل اول ما يخطر بالبال في هذا الصدد مقطع النسبة (اب) الذي تنتهي به أسماء معظم القبائل السودانية مثل الميرفاب وقل ان تجد مجموعة من القبائل لا ينتهي بعض فروعها بهذا المقطع الذي هو بجاوي الاصل كما وضحت ذلك في دراسة سابقة •

ولكن هذه النسبية لاتحول بيننا وبين ملاحظة ان هناك لهجة عريضة مشتركة في النيل الاوسط تقوم مقام اللغة المشتركة القديمة التي اتخذت من لغة قريش وعاء في مواجهة اللهجات القبلية الخاصة وهذا أمر واضح فان الفاظ المتبدين فيها الوعورة لالتصاقها بحياة الصحراء وما يتصل بها من حيوان ونبات ومظاهر أخرى للطبيعة واذا حاولنا دراسة لغة الشكرية أو الكبابيش كمثال للهجة القبلية الخاصة فاننا نجد أن الالفاظ التي تختلف فيها عن القدر المشترك الذي ذكرناه تتمثل في المصطلحات الخاصة بالرعي والجمال والمطر والسحاب ولمعان البروق والرياح والاودية وأسماء النباتات والحيوانات والطيور وما يتصل بكل ذلك من حياتهم ومثل ذلك نجده عند البقارة الذين تختلف ظروفهم عن ذلك بعض الشيء مما ينعكس أثره على اللغة في حين نجد أن مجموعة أخرى تعيش في بيئة مغايرة كديار الشايقية مثلا حيث تلتصق الحياة بالنهر والجزائر والجروف ويكثر النخيل تتوسع في الالفاظ الدالة على كل هذا النشاط الحيوي فتزدحم لهجتها باصطلاحات التمور والسواقي وأنواع الاراضي

والنباتات مما لا عهد للعرب القدماء به ومن ثم نجد ان معظم هذه الالفاظ في لغة الشايقية نوبية الاصل مما يفسر احتفاظ لهجتهم بهذه النسبة العالية من الالفاظ في الوقت الذي تزخر فيه نفس اللغة بقدر عظيم من الالفاظ العربية قلما يتيسر وجوده في لهجة أخرى من لهجات السودان .

واذا تناولنا هذه اللهجة المشتركة التي تسود النيل الاوسط فان لاجراء المقارنة بينها وبين اللغة القديمة المشتركة في العربية اغراءه الذي لا يقاوم فكلتاهما كانت ترتكز على قاعدة تستقطب حياة المتكلمين بها وهذه القاعدة هي الكعبة وأسواق التجارة في حالة العربية المشتركة وهي النيل الاوسط الخالي من شوائب الشلالات في مجراه والذي ترفده الامطار في شرقه وغربه في حالة اللهجة السودانية المشتركة ، والملاحظ ان تلك اللغة القديمة المشتركة قد اتخذت من لهجة قريش وعاء لها كما ذكرنا وامتلأ الوعاء بألفاظ وتراكيب من كل حدب وصوب حتى تلبي حاجات الناطقين بها المختلفة ، واذا عكسنا القياس في حالة اللهجة السودانية وبدأنا بالنتائج فان واقع الحال يبدو وكأن هذه اللهجة السودانية خليط من لهجات القبائل المختلفة وقد ذكرنا من قبل انها في عمومها قاسم مشترك بين مختلف المجموعات فقد ضمت في حوزتها معظم المفردات المشتركة وبرزت فيها التأثرات بالبيئة على نطاق البلاد ككل كما سنرى بعد قليل وتجافت عن الخصوصيات الضيقة التي تتسم بها اللهجات الاقليمية أو القبلية الاخرى ، فهل يستقيم لنا القياس عكسا ونخرج من هذه النتيجة المشتركة في الحالتين الى ان هناك لهجة بعينها كانت من القوة ومن الثراء وكان أصحابها من النفوذ والقدرة بحيث تقوم مقام الوعاء في حالة اللهجة السودانية المشتركة كما قامت من قبل لغة قريش في حالة اللهجة العربية المشتركة ؟ هل يصح لنا ان نزعم ــ وقياسا على ما حدث في الماضي البعيد ــ ان الحس اللغوى القديم قد يكون فرض وجوده أيضا في حالة السودان ؟ واذا أعوزتنا قريش في هذه الحالة كعامل اساسي في فرض هذا الوجود اللغوي فان البحث لن يطول بنا قبل ان نعثر على مجموعة بعينها في منطقة النيل الاوسط هذه تتمتع بمركز

قوي وتنتشر أكثر من غيرها في المنطقة قد تكون قامت بدور مماثل لما قامت به قريش في الماضي القديم •

ان الشواهد قوية على ان المجموعة الجعلية ــ دون ان نخوض فيأصلها وصحة نسبتها وما الى ذلك من مسائل شائكة ــ التي استقرت في هذه المنطقة ولعبت أدوارا كبيرة في الحياة السياسية والاجتماعية لهذه المنطقة قد لعبت أيضا دورا رئيسيا في تشكيل الاداة اللغوية التي تسود المنطقة والانسان لايحتاج الى مجهود كبير ليتصور ان الوضع القبلي في السودان عامة كان ــ كما ألمعنا من قبل ــ استجابة لضرورات حيوية وهو في ذلك تكرار لاوضاع مارستها هذه القبائل في حياتها في شبه الجزيرة دون أن نستبعد احتمال حدوث تغيرات جذرية في حياة بعض القبائل من جراء الهجـرة كأن تستقر المترحلة وترحل المستقرة ولكن ذلك في الغالب لا يلغي الحكم في عمومه وعليه فان القبائل التي استقرت على النيل فعلت ذلك في الغالب تمشيا مع نوع الحيـاة المستقرة التي مارستها في حياتها السابقة وكذلك فعلت القبائل المتبدية كمـا لاحظنا من قبل وهناك احتمال قوي ان تكون الروابط بين هـذه المجموعات المستقرة قديمة بحيث اتاحت لها ان تنسج حولها أسطورة أو حقيقة النسب الواحد الذي تتفرع منه هذه المجموعات النيلية الجعلية والتي تضم في اطارها العريض الشايقية والرباطاب والميرفاب والمناصير والجوابرة والجموعية وغيرهم بالاضافة الى الجعليين الذين يسكنون بين مقرن العطبرة وحجر العسل والتميز اللغوي بين بعض هذه المجموعات مرده الى اختلافات الجغرافية والتاريخ أكثر منه الى اختلافات جوهرية في أصل اللغة فقد لاحظنا من قبل ان المجموعات الشمالية خاصة الشايقية والرباطاب ، تتكلم بلهجات قلنا انها خاصة اذا قورنت بلهجة الاجزاء الوسطى من المنطقة النيلية • وفقر مناطق هذه المجموعات وصعوبة الاتصال بها وما ترتب على ذلك من هجرة نحو الشمال والجنوب طلبا لاتساع الرزق ضيق من دائرة لهجاتها وحصرها في نطاقها المحدود فأصبحت لهجـات متميزة مثلها في ذلك مثل لهجات القبائل المتبدية المحصورة بالمثل في صحرائها

وتنتقل اللهجة من الخصوصية الى العمومية عندما ندخل منطقة الحزام العريض الذي ذكرناه من قبل حين قلنا ان الحياة ترتكز فيه على النيل كقاعدة وتنطلق منه في دوائرها تنتظم الشرق والغرب مثلما تنطلق دوائر الماء حين تلقي في وسطه بحجر . وهذا كله اثراء للحياة ومن ثم فهو اثراء للغة وبمقتضاه اكتسبت عموميتها في حين ضاقت قواعد الحياة للمجموعات الاخرى فضاقت بضيقها لهجاتها .

وحينما نحاول بحث العوامل التي أكسبت هذه اللهجة عموميتها فان أهم ما يجبهنا هو علاقة القبائل العربية بسكان المنطقة الاصليين من النوبيين . فان هذه المنطقة حين دخلها العرب كانت تعج بالحياة وكانت مركز الثقل في هيكل البلاد السياسي والاجتماعي والدور الذي تلعبه في حاضرها شبيه بدورها في الماضي . اذ قامت فيها مملكة علوة الغنية ومنها امتد نفوذها والامر الذي لا جدال فيه انها كانت مزدحمة بالسكان بحكم طبيعتها الغنية مما يشهد به أسماء المدن والقرى التي ما تزال الى اليوم تحتفظ بصيغها النوبية القديمة . وما انتهى اليه أمر العلاقة بين العرب والنوبة هنا يمكن أن يستشف بالمقارنة التي تتيحها لنا المقاييس الحضارية الدقيقة التي تنتظم مجرى النيل . فاننا اذا تصورنا مجرى النيل من شمال الى جنوب كثرمومتر أو مقياس حضارتي فسنلحظ ضآلة النفوذ اللغوي العربي كلما ذهبنا شمالا وكثافته كلما انتقلنا جنوبا ، ففي أقصى الشمال كما لاحظنا تسود اللهجات النوبية الاربع وفي منطقة الشايقية واخوانهم تتميز اللهجة بتيار قوي من الاثر النوبي ويضعف هذا الاثر كلما انتقلنا الى الجنوب ولكنه لا يتلاشى البتة ؛ وكل ذلك مقياس لتكاثف الضغط العربي على أصحاب هذه المناطق . فحين قل الضغط في أقصى الشمال بقيت اللهجات القديمة وحين زاد قليلا وانحصر في منطقة جغرافية لا تسمح بالحركة القوية كما في ديار الشايقية والرباطاب بقيت ألفاظ نوبية كثيرة وحين تكاثف واستشرى كما في منطقة النيل الوسطى قلت الكلمات النوبية الى حد كبير ولكن تغلب اللغة العربية في منطقة الوسط هذه على اللهجات النوبية بهذه

الطريقة امر يحتاج الى اكثر من عامل التغلب العسكري لتفسيره لان اللغات لا تموت بانحسار شوكة الناطقين بها في كل الاحيان والامر فوق هذا وذاك يعود الى طبيعة المنطقة ذاتها التي ظلت مركزا لالتقاء الحضارتين على مدى الزمان اذا كانت هذه المنطقة الوسطى البؤرة التي تلتقي عندها اشعة الضوء من كل جانب فتصهر ما تحملها وتحيله الى شيء جديد يحمل خواص العناصر المختلفة المكونة له ، او قل هي المصب الذي تفضي اليه الروافد وتستقر عنده مسارب المياه . فان العرب الذين مروا مرور الكرام باقصى الشمال واقام منهم من اقام على خصاصة ومسغبة في بعض مناطقه التي تسمح بالحياة لعدد محدود من الناس قد وجدوا رغدا ومتسعا في منطقة الوسط هذه فاستقروا فيها . والعرب الذين جاءوا عن طريق البحر الاحمر وضاقت بهم الفيافي والقفار واسلموا زحفهم الى النيل واستقر منهم من استقر عليه وانتقل منهم من انتقل الى غربه . ولهذه الحركة المتصلة للقبائل الاثر الكبير في طغيان العنصر العربي على اللهجة . ولكن الحياة على النيل مستقرة والقبائل العربية التي استقرت اتصلت اتصالا مباشرا بالنوبة المقيمين قبلهم وكل ذلك أحدث آثاره البعيدة في تكوين اللغة ونطقها مما تحدثنا عن بعضه في مجال آخر . ولان المنطقة كانت ملتقى طرق وبوتقة لمختلف التيارات وكانت في نفس الوقت معبرا تنتقل منه أو عليه القبائـــل من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق ومن الشمال الى الجنوب فقد أثر كل ذلك على اللغة النوبية التي كانت سائدة فاندثرت الا من بقايا ما تزال تحتفظ بها اللهجة العامية الى يومنا هذا . ومما يؤكد ان هذه المنطقة كانت مصبا للبشر وللتيارات الحضارية انتقال ظواهر لغوية من أماكن مختلفة اليها دون أن تكون هناك علاقات مباشرة بينها وبين تلك الاماكن فالتيار البجاوي ــ وقد تحدثت عنه في « العامية في السودان » ــ الذي ينعكس بقوة في مفردات اللهجــة وتركيبها هو أوضح دليل على انسباب تيارات بشرية قوية في المنطقة آتية من الشرق ولعلها قبائل عربية عاصرت البجا وتأثرت بهم وانتقلت الى المنطقــة فأحدثت التأثير البجاوي فيها ومنها انتشر في معظم انحاء البلاد التي تتحدث باللهجات العربية .

ونستطيع ان نجمل القول في اثر هذه التيارات البشرية والحضارية التي ازدحمت في هذه المنطقة وتلاحمت ثم تلاحمت واندمجت فيما بعد بمثابة منطقة تعادل القمة في وسط السودان بحيث تمثل لهجة هذه المنطقة كافة القبائل العربية في السودان الى جانب ما تأثرت به هذه القبائل من اتصالها بالسكان الاصليين سواء الانوبة البجة في شرق البلاد ام النوبة في شمال النيل ام العناصر النيلية الى الجنوب او الدارفورية الى الغرب • فقد حصلت التوازن بين كل هذه العناصر في هذه البوتقة وانصهرت النتوءات والزوائد بفعل الزمن كما تنصقل الحجارة في مجرى النهر • وقد تحكمت البيئة الى حد كبير في عملية الامتصاص والرفض فجاءت اللهجة الناجمة عن ذلك معبرة عن بيئة حضرية مستقرة زراعية شبه رعوية لقرب اماكن الرعي منها وبذلك تجردت عن كل الكلمات الحوشية المتصلة بحياة الصحراء والتي تعج بها لهجات القبائل التي ظلت على حياتها المتبدية كالكبابيش والشكرية والى حد ما البقارة على سبيل المثال لا الحصر • وبحكم استقرار المتكلمين بها في قلب منطقة التجمعات الحضارية القديمة فان الجهود التي بذلت لتطويع العربية لتلائم البيئة الجديدة كانت أكبر من الجهود التي يحتاج اليها البدو مثلا الذين يعيشون في البادية والذين يقل اختلاطهم بغيرهم ولذلك تتميز لهجاتهم بالاحتفاظ بقدر كبير من الالفاظ والتعابير العربية القديمة • ومن هذه الناحية فلا يستطيع الباحث أن يقول ان لهجة النيل الاوسط هذه نموذجية من حيث الحفاظ على أكبر قدر من الالفاظ العربية الفصيحة بل الاقرب الى الواقع ان يقال ان العربية هنا وبحكم اتصال العرب الوثيق بالنوبة على أوسع نطاق قد تأقلمت وتطوعت لتلائم البيئة في الوقت الذي استمرت فيه لهجات البدو دون كبير تغيير الا في الحدود التي ألمعنا اليها من قبل • ويجب أن يذكر هنا أن عبء حمل الثقافة العربية الاسلامية ونشرها كان يقع على كاهل هذه المنطقة مما دعم من مركز العنصر العربي في اللهجة ورفدها بتيار قوي عصمها من فقدان اطارها العربي على الرغم من تحديات البيئة الجديدة فعامية النيل الاوسط هذه اذن نموذجية لا من حيث

الفصاحة التي قد تفوقها فيها أي لهجة قبلية أخرى بل من حيث نجاحها حضاريا في التأقلم في بيئة حضارية غنية بتراثها القديم فطوعت العربية وتمثلت من العناصر النوبية المحيطة بها ومن العناصر غير النوبية التي انتقلت اليها من جهات أخرى ما جعلها لغة عامة بلغ من حيويتها وقوتها انها طبعت معظم اللهجات الاخرى حتى القبلية منها الموغلة في صحرائها بطابعها فأصبحنا نرى معظم الاساليب التركيبية التي نجحت هذه اللهجة في استنباطها بحكم اتصالها بالعناصر غير العربية من نوبة وبجة وغيرها تنتقل الى هذه اللهجات الاخرى مما جعل الشقة بين معظم اللهجات العامية السودانية قريبة . وعلى هذا يستطيع الانسان ان يتحدث عن اللهجة العامية السودانية ككل وهو يقصد هذه اللهجة النيل الأوسط بحكم تمثيلها للوضع اللغوي عامة وعلى اعتبار ان اللهجات القبلية او الاقليمية الاخرى لا تضيف اليها جديدا ماعدا بعض المفردات الخاصة بالبيئات الرعوية أو الزراعية البعيدة عن النيل وبعض الظواهر اللغوية الاخرى التي لا تغير كثيرا من جوهر القضية .

والنتيجة التي نخرج بها من هذه الدراسة السريعة ان القبائل العربية النازحة قد وجدت نفسها في السودان في وضع تاريخي معقد استلزم منها التكيف الحضاري واللغوي فحدث تشكيل لغوي جديد نجم عنه بجانب اللهجات الخاصة في مناطق السودان المختلفة وضع لغوي مشترك في وسط البلاد شبيه في بعض جوانبه بما حدث في جزيرة العرب حين فرضت الظروف التاريخية والحضارية على العرب وضعا مماثلا في ماضيهم البعيد . وهذا الوضع المشترك يحمل من السمات ما يكسبه شخصية مميزة هي انعكاس للبيئة وللتاريخ وللبشر .

بعض مظاهر الفصحى

في عامية السودان

يلمح الدارس لعامية السودان أوجه شبه كبيرة بين الوضع اللغوي السائد في مناطق السودان التي تتحدث العربية لغة أم وبين الوضع اللغوي الذي كان قائما في وسط جزيرة العرب قبل ظهور الاسلام وبعده بقليل . ففي السودان قدر كبير مشترك من « لغة عامة » يتفاهم بها الجميع رغم السمات المميزة للهجات « الخاصة » الاقليمية والقبلية وذلك شبيه باللغة « النموذجية » المشتركة بين قبائل العرب والتي اتخذت من لهجة قريش اطارا عاما لها مع احتفاظ كل قبيل أو اقليم بخصائصه اللغوية المميزة . ولعل منطقة حوض النيل الاوسط التي تمتد من بربر وتنتظم قدرا كبيرا من منطقة الجزيرة حيث استقرت كثير من قبائل العرب وعلى رأسها مجموعة القبائل الجعلية هي مركز الثقل في عملية التكون اللغوي في السودان . فهذه المنطقة هي البوتقة الحضارية التي تصب فيها شتى التيارات لتنصهر ثم تفيض في كل اتجاه وذلك بما أتيح لها من موقع جغرافي ممتاز يجعل منها نقطة التقاء لكل آت من شمال أو جنوب أو شرق أو غرب الى جانب اراضيها النيلية الخصبة التي ترفدها مساحات شاسعة من الاراضي المطرية الى شرق وغرب وجنوب . ومن هنا تميزت اللهجات في كل منطقة عداها بميزات لغوية واضحة تفردها عنها وتطبعها بطابع « اللهجة الخاصة » . ففي مناطق الشمال حيث تسكن بعض فروع المجموعة الجعلية كالشايقية والرباطاب والمناصير وغيرهم تضيق موارد الرزق وتنحصر في ضفاف النيل وجزره ولا تسمح قلة الامطار بالاستفادة من بعض الاراضي الطينية التي أبقى عليها زحف الصحراء الكاسح وكل ذلك الى جانب صعوبة المواصلات بسبب كثرة الشلالات في بعض مجرى النيل مما يعمق من « اقليمية » اللهجة

لقلة اتصالها بغيرها ومن هنا تفردت لهجات الشايقية والرباطاب والمناصير بميزات خاصة بالرغم من قربها من بعضها بعضا وبالرغم من ارتباط هذه المجموعات الشمالية بأصلها الكبير الى الجنوب اذ كل هذه الفروع الجعلية لا ترتضخ رطانة مثل جيرانها من الدناقلة والمحس والسكوت والكنوز التي الشمال • ومثل ذلك يقال عن القبائل المتبدية الى الشرق والغرب من مثل الشكرية والكواهلة والكبابيش والبقارة وسواهم • ولكن كل هذه القبائل سواء أكانت مستقرة أم مترحلة تتخذ قاسما مشتركا أعظم في مجال التفاهم اللغوي يصل بينها رغم الخلافات الاخرى التي تميز بعضها من بعض • ومن هنا صح للانسان أن يتحدث عن اللهجة العامية في السودان ككل معتبرا هذه الخلافات الصغيرة التي تميز كل لهجة عن الاخرى خلافات ثانوية لا تغير كثيرا من جوهر القضية وهي عمومية اللغة العربية العامية السائدة في السودان ، كما رأينا من قبل •

وحين يحاول الباحث دراسة خصائص هذه اللهجة العامية السودانية فهو مضطر الى مقارنتها باللغة الفصحى المدونة في أمهات كتب اللغة بحكم الصلة القديمة بينهما ثم هو مضطر الى مقارنتها باللهجات العامية السائدة في العالم العربي المعاصر بحكم خضوعها جميعا لظروف متشابهة أثرت في تطورهاوقربت ما بينها • ومثل هذه المقارنات هامة لا لفهم العاميات الحديثة فحسب وانما لفهم مجرى التطور اللغوي للفصحى وللهجات القبائل القديمة أيضا • فماأكثر الفوائد التي نجنيها من وضع نتائج البحث اللغوي في العاميات الحديثة في خدمة الباحثين في حقل اللهجات القديمة • ومن القضايا الهامة التي تعترض سبيل الباحث في هذا المجال علاقة العامية بالفصحى : هل هي علاقة نسب كانت الفصحى فيها هي الاصل الذي تفرعت منه العامية أم ان العلاقة بينهما كانت علاقة جوار بمعنى ان العامية كانت لغة مستقلة منذ القدم الى جانب اللغة الفصحى ومن ثم سلك كل منهما سبيله المستقل في التطور والنمو بحيث نقول ان كثيرا من الظواهر اللغوية التي نشاهدها اليوم في العاميات لم تكن في

معظمها نتيجة لتطور لاحق ألم بالعربية في أقطارها المختلفة التي استقرت فيها قبائل العرب بعد عصر الفتوح وانما ترجع في أصولها الى لهجات قديمة كانت تعيش جنبا الى جنب مع الفصحى وبانتقال القبائل العربية التي كانت تتحدث هذه اللهجات الى المناطق المختلفة انتقلت لهجاتها معها الى جانب الفصحى لغة الثقافة والدين • ورغم ان الاجابة الشافية على هذه التساؤلات تتطلب بذل الجهود لجمع العاميات العربية وذلك يحتاج لزمان طويل الا أن الدارس يستطيع أن يذهب الى أن الصلة بين الفصحى ولهجات قبائل العرب كانت قريبة في جملتها ولم يكن الخلاف بينهما خلافا جوهريا خاصة والفصحى تضم في اطارها الكثير من لهجات العرب ولكثير من ظواهر اللهجات شواهد في الفصحى[١] • وكثير من الوسائل التي تلجأ اليها العاميات الحديثة لتطويع اللغة من مثل القلب[٢] والادغام[٣] والحذف[٤] والنحت[٥] وابدال الحروف[٦] وسواها[٧] موجود في الفصحى ذاتها • والشبه الكبير الملاحظ بين العاميات الحديثة مما يوحي بقرب الصلة القديمة بينها وسر هذه الصلة ارتباطها بالفصحى فهي القاسم المشترك الاعظم بين المتكلمين بها • وحتى الظواهر المشتركة بين العاميات التي لا نجدها في الفصحى من مثل ترك الاعراب لايقوم دليلا على

---

(١) انظر مثلا مهدي المخزومي : في النحو العربي .

(٢) مثلا قبط وجهه وقطبه ، وفطس وطفس اي مات وصاعقة وصاقعة وخشخشة ولعل ذلك من جراء اللهجات في سلب الفصحى .

(٣) مثلا مددت ومديت وهو خلاف بين لهجتي تميم والحجاز ومثله تسهيل الهمز في قولك بئر وبير وسأل وسال .

(٤) مثلا امراة قد تكون مرة .

(٥) مثلا حسبل (في العامية حسبن) .

(٦) معظم وجوه الابدال لها شواهد مثلا الهيذبي والهيدبي ؛ تلعسم وتلعثم ؛ تلعلع وتلالا ، كربد وكرمد ، هرش وحرش ، فقش وفقس ؛ الهقمة والهكمة ؛ ودوغة ودوكة .

(٧) مثلا زيادة حرف كقولك فطح وفلطح . والدراسات عن هذه الظواهر متعددة .

استقلالها عن الفصحى بقدر ما يؤكد ظاهرة لغوية في العربية ذاتها اذ الاعراب كان منذ القدم قضية شغلت بال العلماء والباحثين • والواقع ان التخلص من الاعراب كانت غايته التسهيل وسرعة التداول ولكنه حيث يخدم غاية محددة كالافراد مع التوكيد فان العامية تحتفظ به كما هو الحال في عامية السودان التي تحتفظ بتنوين النصب في مثل قولهم : كلّ شاةً معلقة من عصباتها ، فلان راجلاً طيب •• الخ •

والواقع ان علاقة اللغة باللهجات في مثل هذه البيئة السريعة التغير التي تقوم حضارتها على الكلمة والتي نزلت معجزة رسولها في شكل كلمة لا تكون علاقة جامدة بل هي علاقة تأثير وتأثر ديناميكية ، وكان توحد العرب الكبير الذي أحدثه الاسلام مما قوى من توحدهم اللغوي وأذاب كثيرا من الخلافات الجوهرية بينهم • ونتيجة للهجرات المتصلة لم يكن من الممكن للهجات القديمة أن تستمر على حالها القديم في المناطق الجديدة نسبة للتشتت الكبير الذي تعرضت له القبائل العربية في شرق العالم العربي وغربه وكل ذلك مما جعل احتفاظ كل لهجة بسماتها المميزة جميعا أمرا بعيد الاحتمال • فبقايا اللهجات لا بد ان تدخل في صراع مع بعضها بعضا ومع الفصحى وكانت نتيجة كل ذلك ماتراه اليوم في عالمنا العربي من لهجات اطارها العام عربي يستقيم في كثير من ألفاظه ومعانيه مع ما نجده في قواميس اللغة الى جانب ظواهر لغوية أخرى تختلف من لهجة للهجة ومن منطقة لمنطقة داخل اللهجة الواحدة باختلاف القبائل النازحة والبيئة التي استقرت فيها والظروف التي أحاطت بها • واللغة كائن حي يتطور ليواكب تطور الحياة والحياة التي واجهها العرب في بيئاتهم الجديدة تختلف عن حياتهم الصحراوية السابقة وتختلف فيما بينها ولا بد للغة من أن تعبر عن كل ذلك الاختلاف دون أن تفقد خواصها الاساسية • والواقع ان العربية احتفظت بكثير من قوالبها وصيغها القديمة وعبرت بها عن كل ظاهرة كانت مألوفة لديها وحيث احتاج الامر الى التعبير عن مفاهيم غير مألوفة أو جديدة استعملت في كثير من الاحايين الصيغ القديمة لتؤدي معاني هذه المفاهيم

فكأن الامر في اللغات وضع الخمر الجديدة في زجاجات قديمة .

وقد سقت كل هذا لأصل الى مرتكز أقيم عليه دعواي من وجود الفصيح في صلب العامية وان الفصيح تحور في البيئات المختلفة ليؤدي غايات الحياة والاحياء بطرق وأساليب متعددة وفيما يلي محاولة غير مستقصية لعرض سريع لجوانب من هذه القضية كما تتمثل في عامية السودان .

(١) الفصيح الذي بقي على فصاحته :

الظاهرة العامة التي يلحظها الناظر في عامية السودان بقاء كثير من الالفاظ والعبارات الفصيحة على حالها الاولى لانها تعبر في البيئة السودانية عما كانت تعبر عنه في البيئة العربية ويبدو هذا أكثر ما يبدو في البيئات البدوية سواء في شرق السودان أو غربه أوشماله فمعظم المصطلحات الخاصة بالحيوان ــ والابل بالذات ــ وما يتصل به من أكل وشراب وجري وزجر وحل وترحال ومرض وصحة وما الى ذلك ظلت في كثير من الاحيان على حالها الاولى . فأنت تسمع جميع الالفاظ التي كان العرب يطلقونها على بعرانهم وصغارها من مثل الحوار والحاشي والفصيل والجدع والتني (الثني) ، والرباع والسديس ، والظمء (الضمي) وأيامه فيقولون ربعت الابل اذا غبت يومين وشربت الثالث وخمست اذا شربت في يومها الرابع ، ويستعملون في المرعى ألفاظا دقيقة كقول الهنباتي : الليلة الزّمل صبحن سمان وبدشرن أي يجشرن من جشر المواشي أخرجها للمرعى . وتصادفنا هنا معظم نباتات العرب من مثل السعدان والسحا والرمث (الرمت) والدرماء والثربة (التربة) والحلفاء (الحلفا) والحمرة والحندقوق الى جانب الفاظ أساسية كالجزء (الجزو) والعفاء في مثل قول ود شوراني : أب قنفة البجازي الصيف وبرعى عفاه أي عشبه وفي الفصحى اعتفت الابل اليبيس أخذته بمشافرها مستصفية وعفت الارض غطاها النبت وقد تعني لفظة عفا في قولة ود شوراني الارض القفر (وهو معنى مذكور في المعاجم) ويوضح ذلك قول ود الفراش : سلام يا الصيد مشلاتو العفاية . وقول

الحاردلو : شن تشبه بلا الجدي البنوم في عفاه • وهم ينهجون نهج العرب في الحلب وما يتصل به • قالت شغبة : وين اسيك يا ام ميخرا ورروار • وقال الحمري (غرب كردفان) نحن عشانا فوق ام ميخرا بهّال • والميخر هي المؤخر وجاء في اللسان « وللناقة آخران وقادمان فخلفاها المقدمان قادماها وخلفاها المؤخران آخراها » قال « ويقولون مؤخرة الرحل آخرة الرحل » • ويتحدث العرب عن الناقة الرؤوم التي تعطف على ابنهافتدر اللبن ويتحدث الحسر في الغرب وغيرهم عن الايرام • ويتخذون في البوادي البوّ لادرار اللبن مثلما كان يفعل العرب • قال البطحاني : من العاشقو راحت الجنة فاضل البو وهو جلد الحوار يحشى تبنا أو غيره فيقرب من ام الفصيل فتنخدع وتعطف عليه فتدر ومنه المثل العربي « فلان اخدع من البو » وقول أهل السودان « فلان راجلا بو » أي فارغ غير ذي خطر • وهم يعرفون العيمة وهي شهوة اللبن والعطش • ويعرفون الفيقة وهو اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين • قال الحمري : لبن الطابقة الفيقة * السكر ذوقا فتيقة • وقال الكباشي : سحروني في شربة فواقي ، والفواق عندهم اللبن الحلو قبل أن تصرّ شطور الناقة • ويقولون ضرع محيّن أي مملوء لبنا وذلك من الحينة أو الحين وقت حلب الناقة عند العرب • وفي القاموس « ومتى حينة ناقتك متى وقت حلبها وكم حينتها كم حلابها » قال الحمري (كردفان) ما بترضع كتير الحينة راوياها • وقل مثل ذلك في معرفتهم لاوان سير الابل وجريها من مثل الدعدعة (قال الشكري : فات همليت مدعدع وجوفو ماغي سيور) والدعداعة في غرب السودان الناقة السريعة • قال الكردفاني : يا دعداعة جربك من رشاشة معاكي (أي من أول الخريف) وكان العرب يحثون العاثر بقولهم دع دع أي قم وانتعش ودعدع عدا في بطء والتواء • ومثل الارقال (قال المحلّق : منك واشقي الروقل جبلي الخباب) والكربدة (الكربتة) وسموا جري الابل الكربتيت في مثل قول الهنباتي : يوما كربتيت ويوما عشانا ربيت • والهركلة ضرب من المشي عند العرب فيه اختيال وبطء • قال ود الفراش : يهركل بي

تقول كدر النتيلة . وامراض الابل عربية مثل الجفار في قول الآخر : باصنط
مثل جفر الجمال الرامي . وجاء في اللسان « جفر الفحل يجفر جفورا » انقطع
عن الضراب وقل ماؤه وذلك اذا اكثر الضراب حتى حسر وانقطع وعدل عنه .
قال ذو الرمة :

وقد عارض الشعرى سهيل كأنه قريع هجان عارض الشول جافر

ومثل السوفة في مثل قول ود شوراني : ضاع جمالن المارق سمان موسايف أي
ان الرحلة اضاعت الجمال التي خرجت سمينة وليست مريضة وجاء في القاموس:
ساف المال هلك ووقع فيه السواف وهو مرض المواشي وهلاكها (قال ود النعيم
الفادلي : شوفتك تسند السوفة ام وتاتيبو) .

وهكذا حيثما التفتنا نجد الالفاظ المعجمية حية كما كان يستعملها العرب
حتى في الفاظ خاصة من مثل اصطلاحات الزجر والطرد : دع ، لزجر الابل
(وبعضهم يقول دو) ، وحو لزجر الغنم ويسميها أهل السودان حي حي
ويستعملونها نداء ويقولون بس للقطة وعج للنعاج وفي الفصحى عج الناقة
زجرها بقوله عاج عاج . ويقولون حاو للحمير وذكر صاحب المقتضب : « قال
في القاموس حا اذا دعا الحمار للمشرب » . والعرب تقول أرار للضان والغنم
مثل أهل السودان واخ للجمل (ومثل ذلك في السروج والحوايا والسيور
والغرض والاحقبة والجلود واجزاء الحيوان .. الخ) . ومعظم الالفاظ الدالة
على ظواهر الطبيعة في بوادي السودان عربية فصيحة . فمنازل القمر التي
عرف بها العرب الانواء ويسمونها العين معروفة . قالت العبدلابية : يا مطر
الخريف يا وابل العينة . وقال الرباطابي : تدق ريح الجنوب العينة رشت .
وقال ود شوراني : وابل العينة مطّر ديرانا القداما . جاء في اللسان « والعين
من السحاب ما أقبل من ناحية القبلة وعن يمينها يعني قبلة العراق يقال هذا
مطر العين وقال ثعلب اذا كان المطر من ناحية القبلة فهو مطر العين والعين اسم
لما عن يمين قبلة أهل العراق وكانت العرب تقول اذا نشأت السحابة من قبل
العين فانها لاتكاد تخلف أي من قبل قبلة أهل العراق» . ومن هذه العين البطين

وهو نجم من نجوم السماء من منازل القمر والعرب تزعم ان البطين لا نوء له الا الريح وهو في السودان ثاني عين الصيف وأمطاره خفيفة لايعتمد عليها في الزراعة ولا الري ولذلك قال المادح ود تسيم : يا مولاي سألتك مدحي ينزل كيف ※ وبّال الخريف مو رش بطين الصيف • وقال الحمري (غرب كردفان): وقت الصيف توقف البطيني بسوق • وقد نظم كثير من شعراء البادية وعلى راسهم ود شوراني وبعض شعراء الشكرية منظومات تناولوا فيها هذه المنازل الثمانية والعشرين كالذراع (الضراع) والنترة (النشرة) والطرفة ، الجبهة ، الخيرصان : الصرفة ، العواء ، السماك ، سعد ذابح ، سعد السعود ، سعد الاخبياء ، سعد بلع ، الزبنان (بعضهم يسميه الزبران) ، الاكليل ، الشولة ، الثريا (التريا) ، الحوت . الهنعة ، الدبران الخ •• وهكذا الامر في أسماء السحاب (الطخا والسواري مثلا) • والمطر (الوبل الغيث الحيا قال الحاردلو: فوق حيا فوق محل من الصعيد منجرة) ، والاهوية (الزيف ، الاعاصير ، الريح ويحورون الشؤبوب ليصبح الشهفوفة في معظم أنحاء السودان ويسمونه الشب في غرب السودان) • قال الحمري : (دا الشب البي بريريقو) • والشجر (السيبان ، الرتم نوع من الشجر واحدته رتمة قال ود الفراش : ود الاريل الشارب رتومه) • وألوان الارض والخصب (البوغاء ، المرنعة) وهي الروضة والخصب عند العرب اذ يقولون « في المرنعة لكل قوم مقنعة » وقال الشلهمة : وسيلك في علاوة والمرانع كاش • وقال ود الفراش : قصيبة المرنعية الفي مروناء والهوبجة وهي الارض المرتفعة أو المطمئنة : ومن ذلك قرية الهوبجي الاعداد جنوب غرب شندي والارض الهبج والباجة •

ويقولون بتّق النبات أي بثق ، ونجم النبات طلع فهو ناجم ، قالت بت مسيس : قولن حي عليه الناجم ولو كشيب • وقال الحمري : متيرب في البورة ※ يا النجم قندولا (اكتمل نموه) • ومن ذلك سموا آلة الحش النجامة لانها تزيل النجم وهو النبت • قال الرباطابي : احبي زي النجم القش • والدر عندنا النبات ودر النبات عند العرب طلع •

وهناك الى جانب ذلك ألفاظ دقيقة المعنى تستعمل في نفس معناها القديم مثل كلمة قرزم (ف) قرزم الشاعر شعره جاء به رديئا • والقرزم الحقير اللئيم وفيها يقول الشاعر السوداني :

يا ماصع الرشاش المالك قريزن حاشا

ونجد اللهجة تحتفظ أحيانا لا بمعنى اللفظ فحسب بل بشكله الظاهري أيضا مثل قولهم عمن أول من قول العرب عاما أول فاحتفظوا بالتنوين مثلهم •وهذا التنوين كما لاحظنا من قبل يستعمل في بعض المواضع مثل قولهم : جيتا جيت (جيدا جئت) الخ •

(٢) الاحتفاظ بظلال المعاني :

(ف = فصحى • س = عامية سودانية)

وفي أحيان كثيرة نجدهم يحافظون على المعاني المختلفة للكلمة الواحدة فكلمة الحور مثلا هي الحير في الفصحى ولها معنيان اولهما الحائط او شبه الحظيرة أو الحسى وثانيهما مجتمع الماء • وفي المعنى الاول وهو الاشهر يقول الفنجري : ود خير طفّر الحوش الكبير بحورو • وفي المعنى الثاني الدقيق يقول الحاردلو : اب سعنه الرشيد أرجاه حورو ملان ، يعني جبلا بالبطانة[1] •

وقد مرت بنا من قبل لفظة جشر (دشر) في مصطلح الرعي ويبدو أنه كان لتلك اللفظة معنى قديم يذم به العرب من يستهينون به ويعتبرونه قليل الخطر وذلك لان الجشر من الرعاة كانوا يبيتون في مكانهم في الابل ولا يرجعون الى بيوتهم وقد ورد في شعر الاخطل :

تسأله الصبر من غسان اذ حضروا والحزن كيف قراه الغلمة الجشر

وكان عمير بن الحباب يقول لهذين البطنين من غسان انما أنتم جشر لا أبالي

(١) وقد يكون في هذه الرواية تصحيف، اذ وردت الكلمة خورو بدل حورو.

بكم . ولعل هذا المعنى هو الذي قصده ود شوراني حين قال في جمله : جايبو تعبنا وأمّو ألمي دشر لي ماصع . ولعل قول العبدلابية في رواية : ما تعزل الوجوه دفعك دشر سوّيه أدخل في هذا الباب وهي تعني لا يتخير لعطائه بل يجعله عاما (وفي رواية ضربك دشر سويه أي اجعله عاما) . ومن ذلك كبّ أهرق وقلب الاناء على رأسه وكبّت (س) الراقصة أمالت رأسها للوراء والشعر الكابّي (س) المسترسل ، وكابّة الخيل (س) ما يكبّهنّ (ف) . ومن ذلك استعمالهم كلمة العربي في معنى الاعرابي وقد ذم القرآن الاعراب أي المتبدين وجاء ذكرهم في الحديث وكل سكان القرى في معظم أنحاء السودان يسمون البدو عربا ويطلقها أهل الشمال على البجة الذين ينزلون بهم للميرة . ومثل ذلك كلمة اضينة (س) وهي اذن (ف) وكان كفار قريش يتهمون النبي بأنه أذن . والقنف عند العرب صغر الاذنين ولصوقهما بالرأس وقلة شعر الرأس وكبر الانف ايضا وكلا المعنيين له شواهد . قال ود شوراني في جمله : أقنف وليه نطسة وسدره جاير . وقال الحمري : بت صقر العقال ماها ام قنيفة غزال أي ليس لها أنف معوج كأنف الغزال .

(٣) الفاظ في مناطق بعينها :

وقد نجد كثيرا من الالفاظ الفصيحة خاصة ببعض المناطق دون غيرها مثل لفظة الرتج (شمال) وهي الرتاجة (ف) جمع رتائج الحجر ، وكلمة الشكوة (شمال) وهي تقابل المحنفلة (المحنفضة) في بعض المناطق الاخرى ، ومثل ذلك البرجاس (شمال) للمهر ، والرتمة (شرق وشمال) نبات. والطربول (منطقة نورى) بمعنى اهرامات جمع طرابيل . والطربال جمع طرابيل كل بناء عال . قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (١ / ٢٢٥) « الغريّان طربالان كان النعمان يلطخهما بدماء المبتلى يوم بؤسه » ، وبة (بطانة) بمعنى السمين ويوصف به الاحمق الثقيل : قال البطحاني : ماني غليدا بة * سديسا رصع اللبة ، وكان لقب عبد الله بن الحارث بة وكانت أمه ترقصه وتغني له بذلك . ومثل هذا كثير في جميع مناطق السودان .

(٤) تفرق المعاني في المناطق :

وقد نجد المعاني المختلفة للفظة الواحدة مفرقة في مناطق متعددة فمثلا لفظة كبر الشجر بمعنى قطعه المشتقة من الكبر (ف) (نبات له شوك) منتشرة في معظم أنحاء البلاد ولكن معانيها الدقيقة نجدها في الشمال حيث يقولون الكبرة لباب الزريبة من الشوك وفي البطانة حيث الكبرة كوم من الاغصان والاشواك اليابسة في الخلاء (ويجب ان لا يخلط كبر بكعبر بمعنى قطع لان القوم يستعملونه في قولهم كعبره بالسيف والمكعبر المشوه الناقص الاعضاء) . ولفظة تثفن (س) من الثفنة بمعنى توهط في الارض واحتك جسمه بها من ثفنت الناقة (ف) ضربت بثفناتها الارض . وهذا المعنى شائع في أنحاء البلاد. والثفنة (ف)مستعملة في البوادي وغرب السودان . قال الحمري في جمله : كبّ البول على تفنك بسوّى جهولا . وقال الحمري الآخر : ايدو تفنت مصروفة في الطاقية أي صارت كثفنة البعير واستعيرت الثفنة في وسط السودان لتعبر عن « عين السمك » ، ومن ذلك بهرج (ف س) تزيّن ولمع وهذا معنى شائع ولكننا نجد البهرجة (ف) بمعنى الجبن والعدول عن الجادة عند البقارة في قولهم « فلان ما ببهرج يوم الدواس أي لا يجبن فى الحرب. ومن ذلك لفظة الرقبة (ف) بمعنى المكان الذي يراقب منه العدو فهي موجودة بهذا المعنى في غرب السودان . قال احد الرزيقات : (همي أنا) الرفيق الزين خير فوق الرقاب وهي تعني حفرة يرقب فيها النمر ليصطاد . وقد تكتسب اللفظة معنى جديدا وتحتفظ في ذات الوقت بالمعنى الاصلي . فلفظة زعل أصبحت تعني غضب في معظم انحاء السودان (وقد ورد في القاموس زعل من المرض ضجر واضطرب) ولكننا لا نجد زعّل بمعنى أزعج من المكان الا في بعض البوادي ومن ذلك قول الحاردلو : جاهن زعّلن بعد النهار ما فات يقصد ظباء .

(٥) مشتقات من الفاظ اندثرت :

وبعض الكلمات مشتق من ألفاظ اندثرت من العامية ولكنها موجودة في

الفصحى فالمفلة سنسن بمعنى طرائق الكسرة مشتقة من قولهم جاءت الريح سناسن أي على طريقة واحدة • ومن ذلك تحنفش اذا انتفش وغضب وهي من الحنفش (ف) حية خبيثة اذا غضبت انتفخ وريدها • والسقط البرد (س) من السقيط (ف) الثلج • والرجل الجهامة (س) الضخم وهي مستعارة من الجهمة (ف) القــدر الضخمة ولا تعرفها العامية الآن • ومن ذلك حكل (س) أدخل ساقه بين ساقيه • والحكل (ف) في الفرس رخاوة في كعبيه • وخفج البقر الطين (س) داسه بأظلافه وخفج البعير (ف) اصابه الخفج وهو ارتجاف في الرجلين • وفرنب (س) قفز من الفرنب (ف) حيوان من الفار واليربوع • والفرنيب (س) ضرب من الشراك والعلاقة بينهما واضحة •

(٦) الفاظ ضاعت من الفصحى :

وبعض الألفاظ احتفظت به العامية واندثر من الفصحى مثل لفظ سجم (س) (السواد والرماد) الموجود في عامية السودان ؛ ونجد في الفصحى سحم وسخم بنفس المعنى • ومثل ذلك جغم (س) شرب وهــذه اللفظة موجودة في عامية الشام والمغرب ولا نجدها في الفصحى وان وجدنا جعم (ف) الى اللحم اشتدت شهوته اليه • وقد ورد برعمة وبرهمة بمعنى واحد وهو مجتمع ورق الشجر (ف) ووردت البرهمة بمعنى ادامة النظر وسكون الطرف ولم تورد القواميس العربية البرعمة في هذا المعنى الثاني ولكننا نجد البرعيم في البطانة في نفس هذا المعنى •

(٧) الفاظ ضاع معناها :

وهناك ألفاظ نستعملها ولا ندري معناها مثل الكبّة في قولك الكبّة التقع فيك (س) وهي في الفصحى الثقل يقولون (ف) ألقى عليه كبّته أي ثقله • وكثير من مثل هذه الالفاظ استمرت على الالسنة لارتباطها بأوجه من النشاط قديمة مثل قولهم في الاحاجي : حجيتك ما بجيتك (بجّ طعن « ف ») ، وقولهم في لعبة العميان : انا مابشوف بعمط الصوف (وعمت

الصوف (ف) لفته مستديرا ليجعل في اليد فيغزل) • وهناك لعبة بدوية تسمى اربشى يتداولون فيها اربشى بعشى ويفوز فيها اللاعب اذا سقط الودع على الارض بطريقة خاصة فكأنه يبدو مختلف الالوان وهو معنى الربشة (ف) ؛ ولعلّ قولهم حسّرت الشيء ربّ وراس (س) اتلف اضعته وبداه (أي فائدته) ورأسه (أي رأس المال) • وكثير من ألفاظ النساء من هذا القبيل : مثلا كريا يمة من الكره وهو المكروه • وبرى (انا بريئة مما تقول) واجي (كأنها اختصار لـ : أأجيء بمثل هذا ؟) •

(٨) دلالات جديدة :

وقد اتخذت بعض الالفاظ دلالات جديدة قد تقرب من الاصل وقد تبعد • فمن هذه الدلالات القريبة من الاصل قولهم بقّ النور (س) من بقّ النبت (والتحول الحضاري واضح) ؛ الاشتر (س) الذي لا ينسجم مع الآخرين في الغناء او الصفق وهو (ف) من كان جفن عينه منقلبا او مسترخيا ؛ الحنيش (س) قذر يعلق بغلفة الصبي من الحشن وذلك من حشن السقاء (ف) اذا أنتن لكثرة حقن اللبن فيه ؛ الصقر (س) من الصقرة (ف) اختلاط لون الطائر خضرته أو سواده بحمرة أو صفرة ؛ الجفة (س) المرأة المترهلة المكتهلة وهي (ف) الناقة المسنة ؛ فشّ مغته (س) شفاها وهي من فش الوطب (ف) اخرج ما فيه من الريح والرجل تجشأ ؛ والاستعارة واضحة ، السبيطة (س) عنقود التمر او الموز وهي من السبطة (ف) الشجرة لها اغصان كثيرة واصلها واحد ؛ حلقم (س) تكلم ملء حلقه (ف) قطع حلقه ، رمرم (س) أكل هنا وهناك وهي من رمرم (ف) فتح فمه للكلام ولم يتكلم •

وقد تكون الدلالة بعيدة مثل الضهل (س) الشره والضهول (ف) الماء القليل • والنفر (س) الواحد وهي (ف) بين الثلاثة والعشرة ومنها النفير (س) اشتراك الجماعة في العمل تطوعا • ومن ذلك نقل المعاني الحسية الى

دلالات معنوية مثل قولهم (س) سرّ الوالي بأنع وهو من بتع (ف) اشتدت عنقه أو مفاصله فهو ابتع وبتع بأمره انفرد به ، رجمه (س) رمـاه بكبيرة وهي من الرجم الرمي بالحجارة سخسخ (ف) الارض الليّنة يقولون فلان مسخسخ أي متهالك مرتعش .

وقد تنقل المعاني المعنوية الى اخرى حسية من مثل قولهم زنّ بريبة (ف) زنأ الحجر (س) رماه ، بَطلبط (ف) ضعف رأيه تصبح (س) ضعف وتهالك جسمه ، السمْح (ف) صاحب الجود والسماحة (س) الجبيل ، الشرف (ف) تجاوز الحد والاعتدال (س) مكان تتجمع فيه المياه ، ومنه انسرف الاناء (س) امتلأ .

وبعض الالفاظ المطلقة المعاني تتخصص دلالاتها : فالجلبقة (ف) الضجة عامة ولكنها تصبح ارتجاج السائل (س) ، والدبيب (ف) كـل داب مـن الهوام ولكنه يطلق على الثعبان (س) ، وشلق (ف) شق او خرق ملولا تصبح عملية جراحية في العين (س) ، حوّط (ف) حفظ وتعهد ولكنها تعني (س) رقى وعزم على الامر الضائع بغرض ارجاعه ، الحبر (ف) برود اليمن ولكنها تصبح (س) لبوس الخيل . الجحم (ف) التحرق والشوق تصبح الشره (س) . الدغش (س) الفجر وهي من قولهم (ف) دخـل في الدغشة أي الظلام ، الدغيل (س) من المكان الدغل ذو الدخل الخفي ، حنجر (ف) ذبح تصبح ذبح بطريقة غير شرعية (س) .

وبعض الالفاظ المحددة المعاني تتوسع مدلولاتها وتصبح عامة : مثـلا جدع (ف) أهمل الرضاع تصبح رمى (س) ، والسر (ف) خلوص النسب تصبح النسب عامة : هو سرى أي قريبي (س) ، الدردح (ف) الرجـل المسن منها الدردحة (س) طول التجربة والمعاناة . الفنجري (س) الظريف المتأنق والفناجرة (ف) الخيالة الحاذقون في ركوب الخيل .

وقد تكتسب الالفاظ معاني جديدة منتزعة من المعنى الاصلي فالجبار

(ف س) العاتي وهي أيضا (س) البخيـل • والجبان (ف س) الرعديد وهو أيضا (س) البخيل • وقـد تعكس المعاني مثل خنزيرة البئـر (ف) الطار في فم البئر وفي بعض مناطق السودان يكون في قعر البئر ، وجنـح الطائر (س) قص جناحه (ف) جعل له جناحا •

وقد حوّرت كثير من الالفاظ البدوية لتلائم حياة الحاضرة مثل الرصاص في سقوف المنازل وهي أعمدة خشبية (س) كانت في الاصل حجارة لاصقة بحوالي العين الجارية (ف) ، ومثل ذلك السام (ف) الحفرة علـى الركية أصبحت الحفرة التي تشق لوضع اساس البيت عليها (س) • ومثلها درقـة البيت (س) من الدرقة (ف) الترس ، والترس (ف) المجن اصبح الترس حائط التراب الذي يحفظ الماء في الارض الزراعية (قارن لفظه ترس الاوربية)، الدقلة (ف) الشاة الضاوية اطلقت على البطيخة الصغيرة (س) ، الرفرف(ف) جوانب الدرع وما تدلى منها اصبحت الاطار على جانبي العربة (س) ، الجلة (ف) القفة الكبيرة (س) القطعة الكبيرة من الحديد والقنبلة ، فنّ الابل (ف) طردها (س) فنّ الحجر رمى به •

(٩) مشتقـات :

وقد اشتقت العامية كثيرا من الالفاظ الجديدة من أصول قديمة مثل لفظة البياح (س) للفجر من باح (ف) ظهر وطلع وكانت العرب تسمي الشمس بوح لظهورها • وفي غرب السودان يقولون بوح • قالت الحمرية : يا قمـر التسوع دا البوح ، ويقولون البواح كما ورد في الاغنية الحمرية : من طلعـة البواح لي نوم عيوني انزاح ، ومن هذا قولهم (س) بوبح وبوبى : القمـر بوبى أي ظهر واكتمل • الرشرش (س) من رشت العين اضطربت (وهـو الرمش) ، خوجلي اسم علم من خجل (ف) أشر وبطر ومرح وفلان يمشي الخوجلي (ف) وهو مشي النساء بتكسر • واستعمال هذا الفعل موجود في شمال البلاد كما ورد في قول الشايقية : خوجلن الصقار ❊ فوق شلوخ كرار،

وفي قول الرباطابي : أبواتك تخوجل فوق عروضا • والحديل (س) الجـزء أمام الخيـة وهو من حدل اذا أشرف أحد عاتقيه على الآخر فسال فهو أحدل (ف) ، الرسوة (س) من الرسغ (ف) ، والفعل مردغ من ردغ (ف) ، جو"ده بالسوط (س) من جو"د المطر (جاد أي صب صبا عنيفا) ، دوعـل الماشية (س) اعتنى بها وتولاها بالغذاء وهي من الدعلج (ف) الجوالق الملآن والنبات الملتف ، حدر (س) نظر وقطب مابين حاجبيه ولعلها من الناقةالحادرة العينين (ف) ، الدغور (س) من دغرت الام ابنها أرضعته فما أروته ، الحريف (س) البارع في العمل لعلها من الحرفة (ف س) أي المهنة أو من الحريف (ف) الطعم يلذع اللسان بحرارته •

وهناك ألفاظ خاصة استعملت في السودان بدلا من ألفاظ أخرى مشهورة عند العرب • فالادابة (وهي من الاداوة فيما ذكر الدكتور عبد الله الطيب) هي الاثفية ، وشليل (من شل" أي طرد) لعظم وضاح اللعبة التي كان يلعبها الرسول في صباه ؛ الحنبل في بعض مناطق السودان لقوس قزح وهي استعارة من الحنبل (غرب) قماش عريض لبيوت العرب ولعله ملون وذلك من الحنبل (ف) الفرو القديم •

وفي بعض الاحايين تختلط اللفظة الفصيحة بأصول غير عربية مثل القرباب (س) من القرب الخاصرة والمقطع آب التبداوي الدال على النسبة والكلمة تعني نطاق المرأة ، والدعكاب (س) القتال من دعك (ف س) ، والدكناب (غرب) الغبار من دكن (ف) مال الى السواد ، الكترابة (س) مـن القتر (ف) الغبار •

(١٠) تغييرات في بنية الكلمة :

وقد تتعرض كثير من الالفاظ الفصيحة لزيادة بعض حروفها أو نقصانها او قلبها كما يظهر في الامثلة التالية :

الزيادة : سهجت الريح اشتدت الريح وهبت (ف) تصبح سهرجت اذا اشتد لهيب النار وهبت عليها الريح (س) ، الدبلة (ف) (مرض) تصبح دوبال (س) ، تسلّط تصبح تسلبط (س) ، وسكّر (ف س) تصبح سمكر (س) ، ابتسم (ف س) اتبرسم (س) ، ابل (ف س) البل (س) ، طوّح (ف) طوطح (س) ، الدهس (ف) الدهسير (س) نبات ، حسك (ف) حسكنيت (س) ، حبق (ف) حمبق (س) بلّط (ف) بلبط (س) ، دوّارة (ف) دودار (س) .

النقصان : اسفنج تصبح سفنجة ، خشعة تصبح خشة (ما تكاثف من الشجر) ، اجمر تصبح جمر (وثب) (س) ، أساس البيت (ف س) ساس (س) ، مرحبا بك (ف) حبابك (س) ، السيساءة (ف) السيس (س) (القفر) ، بجباح (ف) بابح (س) ، بابوس (ف) بابو (س) ، ملك (س) ملك (ف س) .

الابـدال :

١ ـ قرأ تصبح قرع أي جمع وهي لفظة قديمة وردت في تفسير لفظة قرآن وكان العرب يقولون لم تقرأ الناقة سلى وقرأ الماء في الحوض أي جمعه .

جأر (ف) جعر (س) .

٢ ـ بهت (ف) بهط (س) .

٣ ـ أولاد الحنث (ف) أولاد الحنوت أي أبناء الزنا وفي الحديث « يكثر فيهم أولاد الحنث » . شبث تصبح شبت للنبات المعروف ولكن الشبت وهو العنكبوت تصبح شبشة ، الثلة (ف) الشلة (س) ، حثرب (ف) حترب (س) ، ثمدة (ف) تمدة (س) : الشعثة (ف) الشعفة (س) وأهل الغرب يقولون شعتانة بمعنى حفّانة .

٤ ـ فشّج تصبح فشّق ، والنّجة تصبح النقة ، الجورب (ف) شراب

والوجه تصبح الوش ؛ وقد يعكس خرمش (ف) خرمج (س) ، دهق (ف)
دهج (س) ، جحش (ف) دحش (س) •

٥ ـ حترش تصبح هترش ، وحمزة تكون همزة وقد يعكسون الرهط
تصبح الرحط والهلوف تكون الحلوف ، رشح (ف) رشع (س) ملأ •

٦ ـ دارأ (ف) ضارى (س) ، درفة (عاميات) ضلفة •

زغرد (ف) زغرت (س) ، خديجة (ف) خجيجة ، دجاجـة (ف)
جدادة (س) •

٧ ـ ذناب تصبح ضنّاب ، ذيل : حادق : حاذق ، جبذ (ف) جبد (س) •

٨ ـ رتق (ف) لتق (س) ، رخ العجين (ف) لخ (س) • شمروخ (ف)
شملوخ (س) ، وقد تعكس : ياليت (ف) ياريت (س) ، بلا (ف) برا (س)•

٩ ـ سخط (ف) شخط (س) شرسوف (ف) شرشوف (س) ،ومثله
فقس (ف س) فقش (ف س) ، سبق (س ف) صبق (س) سرفة (ف)
صرفة (س) ، سقف (ف س) زقف (س) ، سعف (ف س) زعف (س) •

١٠ ـ نفض اللون (ف) نفد (س) حال ، خاض (ف) خاد ، ضرط (ف)
زرط (س) •

١١ ـ بطنه (ف) بتنه (س) ضربه ، خبط (ف) خبت (س) ، طلح (ف)
تلح (س) ، طلش (ف) تلش (س) •

١٢ ـ ظلع (ف) ضلع (س) •

١٣ ـ تشمت روحه (ف) برّح بها الشوق تصبح تشحتفت (س) •

١٤ ـ غنم (ف) عند بعض أهل الغرب خنم •

١٥ ـ بزق (ف) بزغ (س) ، بقر (ف) بغر (س) ، وقلب القاف غينا
نـادر •

١٦ ــ قتل (ف) كتل (س) ، عنقش (ف) عنكش (س) ، دكاس (ف) دقاس (س) ، قتاد (ف) كداد (س) •

١٧ ــ لعله (ف) نعله (س) ، لفظه (ف) نفضه (س) ، اسماعيل (ف‌س) سماعين (س) ، وقد يعكس ذلك نارنج (ف) لارنج (س) •

١٨ ــ فاطمة (ف) فاطنة (س) ، دهمسة (ف) دهنسة (س) ، والنون والميم تتبادلان في مثل قنبور وقمبور ، بنبر وبمبر وشنباني وشمباني ، حضرمي (ف) حضربي (س) ، مكان (ف س) بكان (س) ، سنام (ف س) سناب (س) وقد يعكس ذلك في مثل ابن عمي لزب (ف) لزم (س) وقد فعلت العرب ذلك في مثل حثربة (ف) حثرمة (ف) شماقة (ف) شلاقة (س) ، شماطيط (ف) شلاتيت (س) •

١٩ ــ سندان (ف) سندالة (س) ومثل هذا كثير في الفصحى والعامية مثل عنون (ف س) علون (ف س) • ويقولون في نطرون (ف) عطرون (س) (قارن أنطى وأعطى وهذامستعمل في السودان) ، نقص (ف س) بقص (س)•

٢٠ ــ يافوخ (ف) نافوخ (س) ، يتم (ف س) اتم (س) •

٢١ ــ وتخضع حروف اللين لتغييرات كثيرة : ويب (ف) ووب (س) ، الشرى (ف) الشرهان (س) لكن شرى العيش (ف س) ، السداة (ف س) السداية (س) ، أين (ف) وين (س) البواح (ف) البياح (س) سعلاء (ف) سعلوة (س) •

القلــب :

شعل (ف) شلع ، نجم (ف) جضم (س) ، فهق (ف) فقه (س) ، عبام (ف) بعام (س) ، بت (ف) تب (س) ، لعن (ف س) نعل (س) ، جلدة (ف) دلجة (س) ، نضج (ف) نجض (س) ، راد (ف) دار (س) ،

خنخن (ف) نخنخ (س) ، كندوج (ف) دنكوج (بقارة) مكـان مؤقت للصائدين او قطية ، وقد تلتبس اشكال الكلمات من جراء الابدال والقلب مثلما حدث للفظة شخلوب التي تعني فرع من سبيطة التمر وتعني في نفس الوقت السط والعقد وهما في الاصل البعيد مختلفتان . فالشخلوب بمعنى سبيطة التمر مقلوبة عن شخلوب وهذه مبدلة من شنخوب والشنخوب في الفصحى اعلى الجبل ورأسه وذكر الازهري في اللسان المشنخ من النخل الذي نقـح سلاؤه وقد شنخ نخله تشنيخا (مادة شنخ) . أما الشخلوب بمعنى العقـد والسط فهي من شخلب . قال الليث في اللسان « مشخلبة كلمة عراقية ليس على بنائها شيء من العربية وهي تتخذ من الليف والخرز أمثال الخرز . قال وتسمى الجارية مشخلبة بما يرى عليها من الخرز كالحلي » . قال الرباطابي : داير انط السام دردرب * وامسك الشخلوب واقنب ، وقد جاء في أغانيهم (شسال) على لسان ساحر : انا ديّوب * أنا أخو أم شخلوب .

(١١) العاميات العربية :

وعلاقة عامية السودان بالعاميات الاخرى واضحة وتختلف الصلات مـن منطقة لاخرى . ففي غرب السودان مثلا يقولون زرط بمعنى بلع وهكذا يقولها المغاربة وأهل الشام وهي لفظة آرامية قديمة زلط (وهكذا ينطقها أهل مصر) أي بلع ، وهم يقولون جاهل (س) للطفل وهكذا يستعملها أهل اليمن ، وفي شمال السودان الكلع (س) الخصية وهي بنفس هذا المعنى في عامية اليمن الحديثة وهذا المعنى غير موجود في القواميس الحاضرة ولعل ذا الكلاع الحاكم اليمني القديم من هذا لا كما ذكر صاحب اللسان وتاج العروس ، وكان أهل صقلية يقولون مسيد بدل مسجد كما يقول بعض أهل السودان ، ومعظـم العاميات تقول شنب للشارب وهو لفظ لا يحمل هذا المعنى في الفصحى ومثل ذلك شاف بمعنى نظر والمشوار . وفي غرب السودان يقولون البرعص لحيوانات صغيرة وهي لفظة آرامية قديمة موجودة في عامية الشام (برعط) ، والبراد في

الفصحى للتبريد ولكنه في بعض العاميات (المغرب مثلا) مثل السودان للتسخين؛ ومن هذا القبيل لفظة الرشمة (س) وهي حلية مكونة من سلسلة دقيقة من الذهب يقلد احد طرفيها بالزمام ويشد الطرف الآخر على شعر الرأس أو ثقب الاذن ، والرشمة (س) أيضا وشم على الخد . والمعنى الاول آرامي وهو مستعمل في لهجة الشام ويعني رسن الدابة والمعنى الثاني عربي فصيح لفظا ومعنى . وهذا الباب واسع .

المحتـوى

كتب اخـرى للمؤلف

١ ــ كتب المطالعة الاولية في السودان (بالاشتراك)

٢ ــ دبلوماسية محمد

٣ ــ من قضايا البعث الحضاري

٤ ــ شعر البصرة في العصر الاموي

٥ ــ قاموس اللهجة العامية في الســودان

٦ ــ في معركة التراث

الطبعـة الأولـى

١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م

الدار السودانية للكتب
الخرطوم - شارع البلدية
ص ب (٢٤٧٣) تلفون (٨٠٠٣١)
برقياً : توزيعدار

٢٥٠ مليم